دار قصص وحكايات
للنشر الإلكتروني ٢٠٢١

سلطان النوبة

عوني صادق

•• رواية ••

سلطان النوبي

روايـة

عوني صادق

العنوان: سلطان النوبي

النوع الأدبي: رواية

المؤلف: عوني صادق

قوة السرد: كتابات إبداعية

المُدقق اللُغوي: الكاتب بنفسه

اللغة: فصحى

التنسيق الداخلي والإخراج الفني: رمضان سلمي برقي

تصميم الغُلاف: رمضان سلمي برقي

سنة النشر: 2021

تم النشر بواسطة دار قصص وحكايات للنشر الإلكتروني2021

الدار غير مسؤولة عن أفكار الكُتّاب الواردة بإبداعاتهم؛ الكُتّاب وحدهم المسؤولون عنها.

الموقع الصفحة الجروب

" فور استقرار الأمر لنابليون في مصر المحروسة، أمر بتخصيص منطقة غيط النوبي، بالقرب من الأزبكية، كمنازل بُنِيت على هيئة مخصوصة –كما يقول الجبرتي– "*"[1] وحُمِل إليها جواري الأغاوات والمماليك الذين فرو إلى الحجاز وبلاد الشام، والصعيد، للترفيه عن جنوده.

رحل نابليون، وجاء الإنجليز بعد هزيمة عرابي والقبض عليه، واقتياده مع من استسلموا مربوطًا بالحبال، إلى القاهرة، وقف الطفل نوبي متعلقًا بثوب أمه، وسط الغوغاء، والغوازي والراقصات، وضاربات الودع، وكل أوباش البلد الذين أغراهم التجار الإنجليز والأوربيون بالمال، عن طريق رؤساء الطوائف والحرف، بأكياس النقود والذهب التي نثروها على الرؤوس، ليخرجوا لاستقبال الجيش الذي أحتل البلاد"

جزء من مقدمة مخطوط "سوق المتعة"

للدكتورة علا محمود الشرقاوي

[1] **تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار: تاريخ الجبرتي ج٢: الجبرتي عبد الرحمن.**

سلطان

غيط النوبي

قبل قرن ونصف القرن..

كانت ولادته في أحدى قرى النوبة، شكلت حدًا فاصلًا بين مصر والسودان، قبل أن تتلاشى، وتزوب في بحيرة السد العالي، الأب نحيف، محدودب الظهر إلى حد يرثى له، يعود كل ليلة، وهو يتكئ على عود من الحطب الهش، بعدما ملأ بطنه بعَرَق البلح، واحرق رئتيه بدخان التبغ الأسود، فور خروجه إلى الهواء، ينتفض جسده من البرد، وينهشه الرعب من أشباح تتراءى له في الظلام، تطارده نباح الكلاب الضالة، وتناوشه نوبات سعال متلاحقة، يجتاز الدروب الطينية مترنحًا مثل ورقة شجرة ذابلة، يتخبطه الريح وسط الظلام، يسقط عدة مرات، فينتبه عقله شيئًا فشيئًا مع كل سقطة، فيلعن الأرض التي تدور به، وأسقطت أوهام سكره، ولم يبق منها إلا الأشباح والنباح، وأوجاع معدته المزمنة، يصل إلى داره وامرأته الغارقة في نومها، تحتضن طفلها الذي يفتح عينيه على صوت السعال المتواصل، ويرفع رأسه الصغير ليرى أبيه الذي يتألم، بسبب الصداع الذي تفشى برأسه، ويتجشأ ما في بطنه، يراه الطفل الخائف، ويسمع لعناته لأمه وركله لها، فيرتعد، ويختفي بين ذراعيها.

يسمع أمه، وقد بلغ نصف إدراك، ونصف وعي، تقول له: أبوك حيوان بلا قلب، عشرتي له قتلتني، وأماتت قلبي مثله، تصدق يا نوبي، قال لي: نبيعك.. والله العظيم، قال لي: بعِ هذا القرد الصغير، أنتِ ولادة، تحملين في غيره، ابن الكافرة سيكون قراره في الجحيم، يبيع ابنه ليتجرع بثمنه خمرة فاسدة عفنة ليومين، أو ثلاثة....

..... لكن الوالي الكبير –الخديوي إسماعيل– في مصر بلد يقال أنها بعيدة، في أخر هذا النهر، تنتهي عند بحر ليس له أخر، أعلن الحرب على تجارة الرقيق، وأرسل تجريدة بقيادة موسى باشا حكمدار السودان ليتعقب المتاجرين بالبشر، القادمين من الجنوب وتشاد.

قبل أن يبلغ النوبي السنتين مات الأب في عمر الثلاثين، أحترق كبده من السموم، ونزف دمًا من فمه، وأنفه، وكل فتحات جسده، بعد أن صهره المرض، وتركهما تائهين بلا شيء، شيعته الأم إلى مثواه الأخير، وهي تبكي، وتهيل التراب على رأسها، رغم أن الموت أراحها من همه، وسبه لها، وضربها بقدمه ويده الباطشة، مات ولم يترك وراءه إلا راحة البال، والخراب والحاجة، ومد الأيدي للقريب، والبعيد؛ بعد الأربعين حملت طفلها ورحلت في ذيل قافلة جمال إلى القاهرة، المدينة الكبيرة ذات الطرق الفسيحة، والحدائق العامرة، حيث تنتشر فيها مراحيض عامة، وفوانيس إنارة، تعبرها عربات تجرها

الخيول، واسبتليات لعلاج المرضى بالمجان، يأتها بشرٌ من كل الدنيا الواسعة، تركوا بلادهم بحثا عن حياة جديدة.

وهي تجرُّ طفلها خلفها فوق الشوارع المرصوفة بالبازلت الأسود الناعم، وفي الحارات القديمة حيث الحفر والمطبات، ورياح عاصفة رطبة تسفح وجههما، امتهنت السرقة، والتسول لأيام، حتى طاردها شيوخ طائفة الشحاتين بعصاباتهم من المتشردين والأوباش في كل زقاق وحي حلت عليه، ناوشتها آلام الجوع، وشارف طفلها على الموت، وهي تبحث عن جحر يأويها، تنتقل من مكان إلى مكان، خائفة، مثل فأر مذعور.

في اليوم السابع –بعد شهرين– حملتها قدماها إلى ساحة قريبة، تنتشر بها كثبان من الأحجار، وأكوام رمال، وبؤر من مستنقعات آسنة تسكنها الأفاعي، انتبهت السيدة –مجُون– لوجود امرأة غريبة حلت على مملكتها، بدون أذن، أشارت لها بعصاة عجراء، فخطت إليها.. مترددة، خائفة، تأملتها، شملت سمرتها الشديدة، وعينيها الساجيتين، تحسست جسدها بأصابعها، فركت صدرها، عاينت أنوثتها البضة رغم الجوع، كانت أنثى مغرية، مستسلمة، هذا الاستسلام الذي يمتع كل مجنون يطلبها، تتحمل الضرب، والإهانة، مما يثيره، ويتلذذ به، مجُون تعرف بخبرتها أن كل من يطلب النساء عندها، مرضى.. موتورين، تنظر بعينها شبه المغلقتين، فتعرف حال الزبون وطلبه.

وأم نوبي جاءت إليها برجلَّها، لتلق بها وطفلها في حفرة، فتحت – مجُون– فمها لتظهر أسنان صدئة متآكلة، وقالت:

- **الحبة السوداء لها زبائن مخصوصة، المهم تمتعي من ينام فوقك.**

جلست تتابع الستائر المتناثرة القديمة، التي تنتشر مثل خيام صغيرة، أقيمت فوق حفر برميلية في الأرض الخلاء، جاء أول زنديق، ألقى للعجوز سحتوتًا، وبوجه قبيح مثل قرد مشوه دفعها –أم النوبي– أمامه، فبكى الطفل خوفًا منه، وألتصق بأمه، وفور نشر الستارة عليهم، قال لها:

- **عندما أنتهي منك، أجربه في ابنك.**

استسلمت كخرقة يعتصرها الجوع، ومأفون فاقدًا للعقل، حتى كادت تزهق روحها، وصرخت، أنتهى منها وقبض على طفلها، رفع بواقي ثوبه المتهالك، تعلقت عينا الصغير بوجه أمه، وقلبه ينتفض، بكى، والقرد يقدم على التهامه "*"، ويعبث بسبابته في مؤخرته، ثم.....، صرخ الطفل بصوت متقطع، فرفعت العجوز الشمطاء –مجُون– الستارة، وانهالت على الرجل بالعصا الغليظة.

وعلى أثر النزيف الحاد حملت الأم طفلها إلى المستشفى في الحوض المرصود.

** **

ماتت الأم بعد حفلة جماع على جسدها، لم تتحمل عشرة ساديين تباروا لإلحاق الأذى بجسدها، مرت أيام طفلها ترزح بأثقالها، حتى ذهبت أدراج الذاكرة أيام العزاب والتشرد، والجوع.

بعد مرور سنوات نشرت دكتورة علا محمود الشرقاوي، على مدونتها الخاصة عن سوق المتعة، صورة النوبي على غلاف أرشيفه، بملامحه المتهالكة، البشرة السوداء، والعينين المعتمتين، الكابيتين، كبر هذا الطفل البائس، وقد نبتت استعدادات فطرية للشذوذ، مشحونة بالعدوانية والسادية المازوشية[٢]، ومع الوقت صهرتها غريزة الدفاع وحفظ الذات، على الرغم من وجود آثار حزنٍ القديم على وجهه.

أثناء الحرب العالمية الأولى، قبض عليه مع زمرة من المخنثين، وهم يتحرشون بالمارة، ويراودون النساء على فعل المنكرات، وعندما أفرج عنه، أُعِدّ له حفل استقبال مهيب، حملوه مع أتباعه في سيارة فخمة من النحاس الأصفر تجرها الخيول، حتى وصل مملكته في غيط النوبي ونصبوه سلطانا، ألبسوه تاجًا من الذهب مرصعًا بالجواهر والياقوت، وجلس على عرش مملكته، ليحكمها بقبضة حديدية، فور وصوله إلى مقر حكمه، أخرجوا الخارجات عن قانونه، وقت غيبته، ليصدر أحكامه الباتة، وأوامره النافذة.

كان يجلس متكئًا على عصاه أمام بيته، وصفه ميجور توماس راسيل، حكمدار بوليس العاصمة سنة ١٩١٧ : النوبي ضخم الجثة سمين. يُشَاهد

المازوشية المولدة للشبق في المرحلة الفمية تكون على شكل خوف الطفل من أن يلتهمه الآخرون.

2

كل مساء جالسًا كالصنم الابنوسي الصامت علي مقعد خارج منزله بشارع عبدالخالق واضعا ساقا علي ساق مرتديا ملابس النساء ومنقبا بنقاب أبيض، ويحلى صدره بعقد مطعم بالزمرد والماس، ومعصمه بسوار من ذهب خالص، يخرج يدا مغطاة بالمجوهرات، ليقبلها المارة من المعجبين به، أو معطيا أمرا صامتا لأحد أتباعه من الخدم، يراقب النساء والمخنثين، وهم يتسكعون في الشوارع والحارات، هذه الكائنات الطفيلية ذات النفسية المشوهة، التي تتلذذ بتعذيب نفسها، وانتهاك إنسانيتها، تزعمهم "النوبي" وفرد سطوته عليهم، فأصبح له سلطة مذهلة في البلاد، يأمر فيطاع، له الحق أن يضرب ويسجن، ويقتل، تصورته وحشًا غير آدمي، هيئته إنسان، وجوهره شيطان، رغم يقينها من أن انحراف الجسد، يسبقه انحراف عقل وثقافة وسلوك، وانحراف عام للمجتمع، امتد نفوذ النوبي من عالم النخاسة، إلى محيط السياسة والمجتمع الراقي"...."

.....

في أول زيارة لها للشقة مسرح الجريمة، تأملت وجه بدوي بسة البواب، فقد خيل إليها بأنها تحتويانها بنظرة عميقة، تطوقها كطوق حديدي، كان يجلس أمام العمارة، مثلما كان يجلس النوبي في مملكته –غيط النوبي– التي أنشأ عليها نابليون سوقًا للمتعة والفجور فور دخوله مصر.

**** ****

الفصل الأول

الدكتورة

علا الشرقاوي

قبل خمسة أشهر من اكتشاف جريمة قتل مرعبة.

حاصرها كحريق لا يرحم، أنقض عليها في نهم وحشى، أمسك بتلابيبها مثل ذئب جائع، دس خطمه بين ثدييها، قاومته في ضراوة.. حاولت دفعه وهو يجذبها نحوه بمخالب حادة، مزق ملابسها، استنجدت به.. استرحمته، فلم يترفق بها، صرخت وهي على فوهة السقوط في بئر معتم أسود، تشبثت بأخر قطرة لها من حياة، نشبت أظافرها في عنقه، فكبلها بساعديه، وسقط فوقها كحائط ضخم.. ثقيل، واصلت الصراخ، فقبض على فمها؛ عجزت عن التنفس، انقبض صدرها، وزاغت عيناها، شعرت بأسنانه وهو يغرسها بين ساقيها المرتكزتين على مضجع الفوتيل، ثم ....تلاشى الوجود، ووجهه المخيف، وسط دائرة من الظلام، غامت التفاصيل شيئًا فشيئًا، حتى تبددت تمامًا، وتناثرت أنفاس الوجود عبر دائرة معتمة.. باردة، ثم ألقيت أرضًا أفاقت من غيبوبتها على قارعة طريق، ضعيفة، واهنة، سترت جسدها بما تبقى

لها من ملابس ممزقة، وحملها تاكس عابر ألقى بها أمام العمارة وفر هاربًا، لا تعرف كيف صعدت إلى شقتها، دخلت مترنحة، تتعثر ساقيها؛ سقطت عدة مرات قبل أن تصل إلى سريرها، قضت شهرًا كاملًا فاقدة الوعي تقريبًا، كلما أفاقت تنهمر دموعها، تتفتت عظامها، تتكسر مئات المرات غير مصدقة أنه تم اغتصابها، وأسقط عليها الرجل ماؤه اللزج الساخن، فكرت في الانتحار مرات عدة، ولكنها كانت عاجزة، صباحات متوالية، وليال سوداء داكنة، قبعت بقاياها في زوايا كهف روحها الغائمة، قبل أن تسترد جزءً من وعيها، استيقظت على صوت رسالة مصورة على هاتفها، يصور واقعة الاغتصاب، عاودت السقوط قهرًا في غيبوبتها لأيام أخر، واستقر يقينها في بئر بعيد، بأنه ينتظرها الكثير من الآبار المعتمة المتأهبة لابتلاعها؟! وما فتئت على التساؤل.

لماذا لم يشملني الموت برحمته؟!

.....

لا إجابة..

حذفت رسالة الاغتصاب الملعونة.

ربما كان عجزها عن الوقوف على قدميها حيلة نفسية، عجز اختياري، لتتحاشى الخروج، والسير في الشوارع ومواجهة الناس، عاجزة عن النظر في العيون، هيئ إليها بأنها ستلاحقها، تمزق ثيابها، تغتصبها آلاف المرات، وتتردد عبر أصقاع روحها هلوسات سمعية، وبصرية لأصداء ليلتها السوداء، استقرت جرثومة شريرة في رأسها، ترتطم كصرخات الفزع، في سرداب موحش

حفر بداخلها، فقد حولتها جريمة اغتصابها إلى مسخ امرأة، عاجزة.. فاقدة الحيلة.

قبل وفاة أمها، وسفر شقيقتها لبنى بصحبة زوجها إلى الإمارات، مرت ثلاثة شهور وليلة وهي تبحث عمن تبثه أنين شكواها.. عن كائن تشع روحه بود حقيقي، يعيد لها وجودها، ويعيد لها يقين بالجدوى من الحياة، وهل هي حقيقة تعيشها، أم هي كابوس عابر؟! بعد مأساتها، تحولت الدنيا إلى غابة ترتع فيها الوحوش، والذئاب، والخونة، استعر قلبها بنار تمعن في إذكاء رغبة الانتقام، ولم يبق لها غيره، وقدر من يقين يدفعها للتشبث بالحياة، فقط من أجل الانتقام من هذا المسخ الحقير.

كانت تقاوم السقوط، والشبح الذي أمتهن جسدها، وظل يطاردها لليال طويلة، يحاصرها، يمتد عبر مساحة وعيها، حتى لم يعد لها من مفر، ارتادت عيادات الطب النفسي، وتكرار الجلسات عدة مرات ولفترات طويلة، استلقت على الشيز لونج، فتحت صندوق أسرارها مع عدد لا يحصى من الدكاترة، قالت للأخير صاحب الوجه الأبيض، مثل ورقة فارغة في أجندتها:

- **الحياة مأساة ضخمة، كارثة، أنا حتمًا سأموت كمدًا.**

قال لها:

- **الحياة أقوى من الموت.**

أطلت عليه بنظرة..

ما حدث لي يا دكتور أقوى من الموت، ومن الحياة!

في بواكير مراهقتها أحبت أستاذها الوسيم، بادلها نظرات حانية، وأنقض عليها خبر خطبته لقريبة له، فكرهته، وتمنت له الموت، ظهر لها ابن الجيران ضابط شاب، ضمد جرح قلبها، لشهرين لم يفترقا، سافر إلى كتيبته، تواصلت معه بالساعات، ثم أنقطع الاتصال ليومين، وجاء خبر استشهاده على يد جماعة تكفيرية، أنقض عليها صوت المتحدث العسكري عبر القناة الإخبارية؛ كطلقة مميتة، دانة مدفع، صاروخ مشتعل أحرق أحلامها، انهارت، عندما أفاقت، هربت إلى كتبها لتنس مأساتها، واصلت دراستها بكد، مرت السنوات حتى قفزت بها نحو الثلاثين، أضاعت ثلاثة عقود، جامعة وماجستير، ودكتوراه، تودد إليها الكثيرون، لكن النصيب لم يأت بعد.

تتذكر كلمات أمها الأخيرة: علا يا حبيبتي لا أريد أن أتركك وحيدة، والأم تقترب في مراحلها الأخيرة من مرضها الخبيث، في عيادة طبيب الأورام، تعلقت به وهو يرفع عينيه بعد مراجعة التحاليل، والإشاعات، ودون أن ينظر نحوها، أنتحى بها جانبًا، فدق قلبها، ولهجته تنبئ بكارثة: جربنا كل شيء وصل إليه العلم، ولا مفر من استئصال الرحم.

ابتسمت الأم رغم آلامها، وقالت: لا.. لن أسمح لأحد بالعبث في جسدي.

رددت كثيرًا جملة أمها في قادم أيامها.. "لن أسمح لأحد بالعبث في جسدي"

رحلت الأم فجرًا إلى سماء بعيدة واسعة، فضاقت الأرض عليها، كانت تخاطب الجدران، وقطع الأثاث، وأواني المطبخ، وشقيقتها لبنى عبر الهاتف: ماما تركت في حياتي فراغًا كبيرًا، الوحدة مرة يا لبنى.. وتفصح لها ولمن حولها –القليلات من صديقاتها– ما تكابده من شوق لوجود أنيس معها، نعم تريد الزواج، ولكن رسالة العلم اهم، تسخر في قادم الأيام من هذه الرسالة، نعم تمناها رجال، عرضوا عليها الزواج، فتدللت وتمنعت، وأستمر رفضها حتى وجدت نفسها تائهة في صحراء العنوسة الجرداء.. الباردة؛ عندما حصلت على ليسانس الآداب بدرجة جيد جدًا، قدمت أوراقها لقسم الدراسات العليا، على مدى شهرين تبادلت مع الدكتور أنور فكري –المشرف على رسالة الماجستير– شاب وديع.. ناعم الوجه والنبرة، مثل أنثى، لم يخف مشاعره، وقال لها بأنه سيكون سعيدًا لو انتقلت لتشاركه شقته الفارهة في شارع شريف وسط البلد، شقة تحفة معمارية، ورثها عن جده، الذي ورثها بدوره عن والدته "كندة هانم" ابنة عباس باشا الطرابيشي، حلقت بها الأحلام، ارتفعت بها إلى السماء السابعة، أخبرت لبنى عبر الهاتف، وتعجلت الوقت؛ متلهفة لزيارته، لطوق نجاة، والزواج من شاب جميل، أعدت العدة لاستقباله، وقالت له:

- **عمي أتى من البلد ليكون في انتظارك الليلة.**

شملها بنظرة، وتساءل مستنكرًا:

- ينتظرني! لماذا؟!
- لتطلب يدي!
- .....؟
- تخطبني!

صاح بصوت رفيع مثل أنثى رقيعة:

- أنتِ مجنونة، أنا لا انو الزواج لا منك، ولا من غيرك!

سقطت من السماء السابعة إلى أرض عميقة ابتلعتها، حملقت في وجهه الذي أمسى قبيحًا، مربدًا كوجه امرأة ساقطة، وسألته بصوت خنقته الصدمة:

- ماذا كنت تقصد بذهابي معك إلى شقة ستك؟!

هز كتفيه، وقال:

- نعيش حياتنا، كأي حبيبين.

صرخت في وجهه، وهي تبحث في مسيرة الشهرين معه عن سقطة جرأته على أن يعتبرها عشيقة، أو فتاة رخيصة؛ فلم ترتد ما يظهر أنوثتها، أو تضع مكياجًا صارخًا، بل العكس تمامًا، تهمل مظهرها، ينتشر على وجهها زغب لا تفكر في أزالته، لا تنتقي أزياء ماركة، أو على الموضة، فلماذا يطلب منها أن تبيع نفسها من أجل ماجستير، كادت تبصق عليه، خرجت عن طور حشمتها التي احتفظت بها كثيرًا، وصرخت فيه بصوت عالٍ.. نعتته بكل نقيصة، وجرى على لسانها سباب قذر، تراجع أمام هجومها لحظات، ثم تمالك نفسه،

هددها بصوته الناعم بأنها لو لم تستجب له، فلن تنالي الماجستير ما حييت، ضحكت بصوت عال، وقالت ساخرة:

- بروح ستك! ما طلبته مني الآن سجلته على الموبايل، كنت أسجله للذكري.. يا حسرة، وسوف أتقدم بشكوى لرئيس الجامعة، إن وقفت في طريقي سأنسفك، أيها الأحمق الحقير.

حصلت على الماجستير رغمًا عنه، ثم الدكتوراه، ورغم ذلك ظلت لأيام طويلة، تعيش كابوس بأن هناك من يطاردها، حتى حدثت لها جريمة الاغتصاب؛ انزلقت في غيبوبة مميتة، بعدها توالت سقطاتها في آبارها المعتمة.

وهي تعد مقالاتها عن أسباب الانحراف في المجتمع، كانت كل امرأة تحفر معها بئرًا جديدًا يسقطان معًا فيه، بعد الحادثة، انكفئت على جرح كرامتها، تحاول أن تعيد ترتيب حياتها من جديد، لم تبح لأحد بالواقعة، كانت تستنكر حدوثها، وظلت خيالاتها تقبع في سراديب عميقة، اعتبرتها كابوس راود مخيلة جسدها المفعم بالرغبة، من أثر ما سجلت من حكايات المنحرفات، وسردهن لأوضاع الجماع، بلغة سوقية، فاحشة، كانت تحذفها عند إعداد المقالات، قالت لها نانا " طالبة الطب.. المنقبة.. كيف تمرنت على أن تصل بها النشوة حد متعة حقيقية.. فائقة"، أو تقول لها نانسي: "

تعرفي يا دكتورة، أنا عاشرت رجال بعدد شعر رأسي، لم يكن أحدهم مثل زوجي، هشام الأهبل؛ رجل في السرير بحق وحقيق، طيب وحنون، وههه راجل بجد"، وتتدخل زيزي الراقصة، وتقول: أخر واحد بسطني، كان يقول على نفسه أنه فنان، ولكن أبصم بالعشرة، انه مجنون ابن مجنونة، كان يطالبني بأوضاع غريبة، هههه، كان يركبني الهواء هههه.....

يحمر وجهها، عندما تتمثل جوليا أستيونف الروسية أوضاع الجماع، وتصدر تأوهاتها وغنجها، تتماوج على صفحة الوجه رغبة كاسحة، وتشمل جسدها سخونة، تلح عليه الرغبة، في نومها؛ يحاصرها شبح رجل، فتنهض فزعة لتجد فراشها مبلل بالسائل، تسرع إلى الحمام تستلق في حوض الماء، وهي تفكر في ارتكاب جريمة أقسى من القتل؛ لتنتقم بها من هذا الجرثومة، الذي لوث جسدها.

**** ****

بعد شهرين من اكتشاف جريمة القتل.

.....

وصل رنين جرس الباب، ترددت للحظة، عندما فتحته وجدته أمامها، وجهه مفعمًا بالثقة، أغرقها بنظرة شك، سألته:

- **نعم، أي خدمة؟**

- **الرائد حلمي الحسيني.**

ارتعدت، وصدا صرخاتها يتردد، أمعنت النظر فيه، وهو يسألها:

- **حضرتك دكتورة علا الشرقاوي؟**
- **نعم.**
- **تفضلي معنا.**

علت الصرخات في جوفها، وتساءلت:

- **خيرًا؟!**
- **شقة غيط النوبي، حصل فيها جريمة قتل، وأنت أخر من زرتها.**

اقتادتها القوة مسلوبة الإرادة إلى البوكس، وكأنها دفعت نحو فوهة بئر جديد معتم، في الشارع، وجدت نفسها في فجوة تتسع على الأسفلت الأسود، يشملها العجز عن النظر إلى الوجوه، تعاود تمزيق ثيابها لتغتصبها عدة مرات، وتلقي بها وسط شارع مجهول، وليلة معتمة، وسائق عابر؛ ألقى بها أمام البيت وفر هاربًا، دُفِعت إلى صندوق سيارة البوليس، وعاودتها هلاوس، وصور ليلتها الأخيرة عبر رسالة مصورة، ترددت صرخات الفزع، زاغت عيناها، غامت التفاصيل، وتبددت كينونتها.

** **

الفصل الثاني

اليوم الأحد ٢٥ إبريل ٢٠٢١

يوم اكتشاف جريمة القتل.

البواب

بدوي بسة

وصلت عربة البوليس، وعلى الفور أنتشر الجنود في المدخل الرخامي الفاخر، ومن حجرة مظلمة، أطل بدوي بوجهه الأملس الناعم كوجه ثعبان، من وراء ستارة قذرة متهالكة، خرج يفرك عينيه الجاحظتين، دفعه الرائد حلمي إلى السلم، فصعد وهو يتعثر في جلبابه، يشمل الجنود المدججين، والطبيب الشرعي، بنظرة سادرة رغم ارتباكها؛ رسخت في رأس الرائد حلمي، حقيقة أن هذا البواب له دور في الجريمة، أو على الأقل سيجد عنده طرف الخيط، هو خبير بها، بهذه العيون الجافة، الميتة، تطل منها إيحاءات مقرفة، وتصدر عنها رائحة آسنة، مستنقع من القذارة.

وصفته الدكتورة علا الشرقاوي في مقالتها بأنه، مازوشي أنثوي[٣]

أولج المفتاح بأصابع مرتعشة وخرج صوته الرقيع مرتعشًا:

[3] يغتصب. للإخصاء، أو يتعرض الهوامي، كأن المستوى على أنثويا وضعا يأخذ الأنثوي المازوشي فرويد، أن حسب

- **كنت انظف سلم العمارة، شممت رائحة نتنة والعياذ بالله، خارجة من شقة الست لولو.**

.....

فتح الباب لتنفجر رائحة مثل غاز سام، ارتدوا جميعًا الكمامات، سأله الرائد:

- **ما اسمك؟**
- **بدوي بدوي جعيدي، ومعروف هنا باسم البسة يا باشا.**

حملق الرائد في وجهه، وقال:

- **بس![٤]**

وأستدرك:

- **اسمك تهمة يا بسة!**
- **اسم الشهرة يا باشا.**
- **معلوم، بسة.. قرني.. المعنى في بطن الشاعر.**

قال بسة كاشفًا كروته كلها في تحدي:

- **في بطن أمي يا باشا.**

دفعه أمامه، وقال:

- **قدامي بروح أمك.**

وسأله:

[٤] «الإله بس»، وهو إله الخصوبة عند القدماء المصريين.

- أين صاحبة الشقة؟
- ست لولو –اسمها الحقيقي لؤلؤة السويسي– سافرت إسكندرية.

أشار الرائد لاثنين من مساعديه، وقال:

- نقيب عادل اتصل بمديرية الأمن فى إسكندرية، وخذ الملازم حسن وسافروا اليوم.

خرج الضابطان، وبقية الأمناء، وبدوي يواصل كلماته المرتعشة:

- مدام لولو، قفلت الشقة من خمسة شهور.. أو ستة شهور....

والرائد يعاين حالة الفوضى، كراسى ملقاة، مائدة مهشمة، صورة للؤلؤة السويسي، جميلة مثل نجمة سينمائية قديمة –أتهمت في قضية مماثلة– ملقاه على الأرض داخل برواز مكسر، تتناثر في الزوايا بقيا الأشلاء، وستارة ملوثة ببقع دم جافة، داكنة، واصل بدوي حديثه بصوته المخنث:

- ست لولو قالت للنسوان.. أنا خلاص قرفت من الشغلة الزبالة التى عرفتنى بنسوان زيكم، تقصد زيهم هم.

والطبيب الشرعي يلتقط جرامات صغيرة متناثرة من الجثة وأشلاء، من وجه متفحم بلا ملامح، تتناثر في ثقوبه ديدان صغيرة، وجذع نهشت أحشاؤه، ونثرت الأمعاء في أنحاء متفرقة، يلتقط القطعة تلو الأخرى، يتفحصها ثم يضعها في كيس.

شمل الرائد بدوي الذي يواصل حديثه بصوت منفر:

- **كانت ناوية تتوب توبة نصوحة، وقالت.. أنا بعد ما أخف لازم أحج يا بسة بيت ربنا، أصلى فى الحرم، أبك على ذنوبي الكثيرة، وأنا عارفة أن ربنا سيغفر لي.**

سأله وهو يتقزز منه:

- **مَنْ أخر واحدة شفتها من الزبائن؟**
- **هو من قيمة شهرين عدت عليَّ عفاف هانم عصام، طلبت مني أشتري من بار مخصوص في وسط البلد ويسكي، غبت ساعة ورجعت، طلعت طلبها، أعطتني علبة عصير، أصلها كانت كريمة معي قوي، نزلت.. نمت لأني كنت مهدود، لكن...**
- **كمل؟**
- **قبلها بأسبوعين، علا الشرقاوى طلعت الشقة، لكن نزلت لأن كانت ست لولو مسافرة.**
- **علا...**
- **دكتورة علا محمود الشرقاوى، كانت تكتب في الجرائد، وعلى النت عن نسوان الشقق المفروشة.**

أشار لأمين شرطة، وقال:

- **خذ منه تليفونه، وخذه على البكس.**

عاينت النيابة مكان الحادث، وحُمِلت بقايا الجثة إلى المعمل الجنائي، لإجراء الفحص والتحاليل المطلوبة لإعداد التقرير الطبي، وتم أغلاق الشقة بالشمع الأحمر.

أصطحب الرائد حلمي الحسيني القوة، وهو يستقل السيارة، قال للملازم نبيل:

- **خذ أسماء أعضاء الشبكة وعناوينهم، وأطلب تفريغ كل مكالماتهم.**
- **تمام يا فندم، لكن أنت سيد العارفين، هذه الأسماء أكيد غير حقيقية، والعناوين ليس لها وجود.**

غمغم آسفًا :

- **عارف، سأطلب الملفات من بوليس الآداب.**

** **

الفصل الثالث

اليوم الأول، الأثنين ٢٦أبريل ٢٠٢١م

فتح المحضر رقم.....

.....

الرائد

حلمي الحسيني

قالت عنه.. أنه شاب جميل، عيناه السوداوان المعبرتان تضفي عليه مهابة، رغم نظرته المخيفة، ملامحه هادئة تشع بالبريق الذي يوحي بالفهم العميق للبشر، والحياة؛ يمتلك وسامة رزينة، هادئ الطبع، ولذكائه وقوته يهابه الزملاء والرؤساء، ويتصرف مع الكبار في إدارته بحذر واحترام.
وهو يستجوب أحد المتهمين، كانت تعابير وجهه تتسرب إليها قسوة منضبطة.

وصل مكتبه مبكرًا، وهو يفر الصفحات أمامه طرق رأسه ألف سؤال، فقد تتقاطع في هذه القضية مسارات عدة لا تخطر ببال، وقد تكشف أسرارًا لا يجب أن تكشف، ويراد لها أن تموت.. وتدفن، جلست الدكتورة علا أمامه

تتمسك بصمود، عازمة على ألا تسقط مرة أخرى، ولن تنبش في ذاكرتها عن واقعة الاغتصاب، حفرت لها مسارات السقوط في بئر اللاوعي الأسود، ولن تعود لتذكرها، فهي لم تحدث؛ محض كابوس أفاقت منه، أشاحت عن الرائد حلمي وهو مشغول بتصفح صور وملفات الشبكة على مكتبه، أشار إلى كاتب المحضر، وقال:

- **أفتح المحضر.**

أنه في يوم الأثنين الموافق ٢١ إبريل...

.....

.....

لحظات ثقيلة، قبل أن ينظر إليها، ويقول:

- **دكتورة.. أنت لست متهمة.**

تطلعت إلى وجهه، وتمثلت ملامحها حيادًا ثقيلًا، جاهدت في تمثيله، وقالت:

- **أعرف.**
- **التكييف المبدئي للجريمة، هو التعذيب البشع حتى كادت الجثة أن تتلاشى، لا رأس، لا أطراف، وما بقى قطع متفحمة، ربما كان رسالة لأحد ما.**

قفز أمامها الشبح اللعين، انقبض صدرها، وزاغت عيناها، ولم تر إلا وجهه المخيف، وسط دائرة سوداء، أفاقت على صوت الضابط:

- **أنتِ منذ شهور أعدَّتِ على مدونتك الإلكترونية عدة مقالات عن المترددات على شقة ٤٥ غيط النوبي، التي حدثت فيها جريمة القتل، ونشرت أجزاءً منه في بعض المجلات، وعلى مدونتك الإلكترونية.**
- **نعم.**

مال بوجهه نحوها، وثقبها بنظرة حادة، وقال:

- **ربما يكون ما نشرته حمل تهديدًا لشخص ما، أو جهة ما.**

كادت تسقط أرضًا، تطاردها الرغبة في ارتكاب جريمة أقسى من القتل؛ لتنتقم بها من الجرثومة الذي لوث جسدها.

واجهت نظرته، وسألته:

- **تقصد أنني..**

قال:

- **ربما كنت المقصودة بالقتل.**

وأدار مقعده، وواصل حديثه:

- **لا تخف شيئًا، إن كنت خائفة من أحد ما، ثقي بأننا يمكننا حمايتك.**
- **أنا مرعوبة مما حدث.**
- **أهدأي.**

وهو يفتح شاشة ٥٠ بوصة، ويثبت بها فلاشة:

- **حتى الآن لم نتعرف على بواقي الجثة، كما لم نتعرف على القاتل، أو.. القاتلة.**

تتابعت على الشاشة، لقطات لأشلاء، وقطع لحم محترقة، وديدان توغل في بقاياها المتعفنة، يا له من قاتل، وحش حقير! أشاحت بوجهها، وأغمضت عينيها، وهي تغمغم.. مستحيل.. مستحيل، كتمت أنفاسها، وزاغت عيناها للحظة، وأفاقت على صوت الضابط:

- **من يرتكب جريمة قتل بهذا الشكل، حتمًا هو سادي، مريض. قتلها ثم قطعها، وحرق ما بقى من أشلاء، وأخفى الرأس والأطراف، أو أذابها في حمض، الله أعلم.. أنتهى الطب الشرعي من تحليل الجرامات العفنة.**

لوحت بيدها في عصبية، وقالت:

- **وقد تكون مازوكية أنثوية أخلاقية شاذة، حيث تبحث الأنا الأعلى عن العقاب، بسبب الإحساس بالذنب، والرغبة في قتل الغير، أو الانتحار.**

أخرج علبة عصير، قدمها لها، وطالبها بالهدوء، حرك سبابته على الشاشة، وسألها:

- **وما الفرق؟**

قالت:

- **السادية اضطراب متطرف عادة يصيب الرجال، والمازوشية تصيب المرأة.**

تفحصها بعينيه، وقال:

- **أفهم من كلامك، أن القاتل امرأة؟**
- **احتمال كبير، والمقتولة أيضًا امرأة.**
- **سوف تساعديني في القبض على القاتل المجرم.**

ران صمت للحظة، وهو يثقبها بنظرة عميقة تضمر شكًا، وهز رأسه آسفًا، ثم قال:

- **نتعرف أولًا على صاحبة الجثة، وهذا سيساعدنا لمعرفة القاااااتلة.**

.....

اكتشفت الجريمة بعد أكثر من شهرين من ارتكابها، وبعد أن تحلل ما بقى من الجثة تمامًا، وجاء في تقرير الطب الشرعي بعد تحليل خمسة جرامات لم تحرق من الأمعاء، ونصف جرام من المخ عند الزاوية اليسرى متصل بالمخيخ، وملاصق لمركز التنفس بجزع المخ، ملحق به صور إشاعات بالأشعة فوق البنفسجية، ونتائج تحاليل الكرموتوجرافي "*" بأنه قد حدث أصابات بالغة في الفقرات العنقية والنخاع الشوكي، بسبب الضرب بآلة حادة، أدت إلى كسور تفتتيه وخلعيه شاملة، مع قطع للنخاع الشوكي، وحدثت الوفاة سريعًا..

وهي تتابع لقطات تمثيلية للحادث، شملها الرعب، طواها مثل سحابة ثقيلة، كيف تكون الحياة بهذه القسوة، كيف للقاتل أن يكون له وجه مثل وجوهنا، وعينين.. وفم يبتسم، وربما صوت ساحر، ومشاعر جياشة، عرفت أن كثيرين من القتلة كتبوا الشعر، ورسم بعضهم لوحات تباع بالملايين في المزادات، منذ حادثة الاغتصاب انتشرت عبر جسدها، وعقلها، وقلبها شكوك عملاقة، استقرت في كهف لم تبرحه، وتحاشت النبش فيه.

فر أوراق التقرير الطبي، وواصل حديثه:

- **التحليل الهيستولجى "الأنسجة" لم يتم بسبب تحلل كامل للأنسجة وتكون فطريات وديدان.**

وغمغم:

- **قد تكون الجثة والأشلاء لأكثر من ضحية، في هذه الحالة سيتغير مسار القضية تمامًا.**

ورفع ورقة، وقال:

- **تحاليل الـ DNA وفصيلة الدم وصور الأشعة.**

التفتت إلى الضابط، وقالت:

- **سأرسل لك نسخة من مقالاتي.**
- **لا وقت للقراءة، ستحك لي حكاية كل واحدة منهن، وضروري نحتفظ بنسخة منها في ملف القضية.**

ظهرت صورة "نانا" على الشاشة، عيون سوداء، وبشرة ناصعة، تأملتها بنظرة آسفة للحظات ران الصمت المشوب بالانتظار، وقف حلمي بقامته الفارعة وانتظرت أن يمطرها بالأسئلة، سين وجيم، جلس قبالتها، وواصل بصوت هادئ:

- **دكتورة.. تفضلي أحكِ**

وأستدرك:

- **أرجوكِ من البداية.**

تأملت صورة، وقالت:

- **نادية عبد العظيم مختار.**

** **

.....

"*" الكروماتوغرافيا أو الكروماتوجرافيا أو الاستشراب أو التفريق اللوني طريقة لفصل وتنقية المواد ... ويعد التحليل الكروماتوجرافي من أهم طرق الفصل الحديثة كطريقة سهلة وسريعة تحافظ على كيان المركبات المراد فصلها وتصلح لفصل مكونات أي مخلوط سواء، استشراب انجذابي • استشراب السائل رفيع الإنجاز • استشراب طبقة رقيقة،

المصدر محرك البحث جوجل.

الفصل الرابع

قبل عام من القتل.

نانا

نادية عبد العظيم

طالبة في نهائي طب القاهرة، رقيقة مثل فراشة صغيرة؛ تهفو نحو سحابة بيضاء، فيزداد تألقها، حتى ثوبها الأسود يتيه بجسدها، بريق عينيها رغم خفوته يشي بدعوة صريحة للإغراء، تهفو عبر مسارات نظرتها، ظلال تفاصيل الجسد الدسم، أدركت أن سر جمالها في عينيها، فأخفت وجهها بنقاب أسود، لتظهر جمالهما، أعتبرها البعض حيلة أنثى تجيد تسويق بضاعتها.

دخلت ترتدى أسدالًا لا يكشف عن شيء.

استقبلتني أول مرة بابتسامة، ونظرة يشع منها استجداء خفي.

أرجوك ابتعدي عني.

.....

قدمتني لها مدام لولو:

- **الدكتورة علا.**

قلت متوددة:

- مساء الخير.

رهفت بعينيها وهي تشملني بنظرة عميقة، باردة، ثم أشاحت عن وجهي دون أن تحرك رأسها، أيقنت بأنها خبيرة، ثلاثة وعشرون عامًا –كل عمرها– ولكنها تمتلك خبرة، وعمق سنوات، ورحابة في معرفة الحياة، والناس، نظرتها التي لم تدم إلا برهة عابرة، قالت الكثير..

أنتِ دكتورة بجد؟! آه هـ .. ! حفظتِ كم كلمة، هههه؟! وكم جملة.. مثل Sixual repression "الكبت الجنسي.. " Emotional difference" الاختلال العاطفي".. آه أو اللذة الشبقية.. Erotic pleasure، على كم نظرية؟ اذهبِ يا دكتورة ولا تصدعي رأسي بنصائح جوفاء، أنا لا أشعر بالحاجة إلى أحد، أحتاج إلى الجنس، والفلوس التي أتعب وأكد، وأضاجع الحشرات لأنالها، لا تشغلي عقلك بأنني لا أحتاجه لذاته، نعم ومن الأخر أحتاج المال، الفلوس؛ أصدق شيء في الوجود، من يمتلكها يمتلك العالم، وما عليه من مخلوقات، وأنا بها أمتلك نفسي؛ صدقيني يا دكتورة؛ أتيت لتلعبي معي لعبة خاسرة، أنا الفائزة في النهاية، في عملنا كما في الحياة، لا حقيقة غير، أن أكون أو لا أكون، قالها شكسبير وظل بها موجودًا بيننا حتى الآن، أنتم تتمسكون بـ "الشرف" تعتبرونه عملة نادرة في هذا العالم –رغم كونه فكرة بدائية– منذ العصر الحجري، ليكن لكم اعتباركم الكاذب بين بعضكم البعض، ثم تدركون في لحظة حقيقتكم التي نادرًا ما يواجه بها

أحدكم نفسه، أنتم أبالسة أشرار.. شياطين صغار، أنتم من قتلتم ما يعرف بالفضيلة، أنتم ومجتمعكم أغلقتم كل الطرق أمام أمثالي إلا هذا الطريق، من تصطلحون بتسميته.. طريق الخطيئة، حقيقتكم يا دكتورة مثيرة للاشمئزاز، وربما مثيرة للشفقة، هذه الحقيقة ومغزاها، وكما تعتقدون بأنكم امتلكتم سرها، وهذا غير صحيح، فالحياة عامرة بالأسرار، سر واحد، كبير لا يعلمه إلا العليم الحكيم، الذي سيحاسب الجميع.

أنا التي تمرست كثيرًا، دفعتها –نظرة البرهة العابرة– نحو كهفي إلى جوار خيبات سقطاتي التي لم تبرحه، وتحاشيت النبش فيه.

قلت:

- **أنا هنا لأساعد من تُرِد، فلن أجبر واحدة منكن على شيء.**

رفعت نقابها فبدا جمالها الرائق، يغلف تفاصيله الناعمة المخملية هالة من النور، بيضاء، ناصعة، غشيتني نوبة أسف.. يااااه هـ، كيف هان عليك هذا الجمال، أزمّ شفتي وأركض بين صفحات تجاربي الحاضرة، والغائبة، أبحث عن سبب يقنعني، دفعها إلى طريق مآله سقوط أسود، قالت مبررة الحاجة إلى المال، وقد تلوي عنق الحقيقة –أيًّا كانت– وتقول.. أنا في حاجة إلى الجنس، ممارسة الجنس تمتعني، وتزيد من تألق روحي وجسدي، وذكائي، يا دكتورة ممارسة الجنس سبب تفوقي.

حتمًا تتفوقين، وحتمًا تلعبين مع أمثال أنور فكري ألاعيبك، التي فشلت أنا في لعبها، وستحصلين على امتياز، وماجستير، ودكتوراه، وتكونين عضو هيئة التدريس، وتتزوجين دكتور كبير.

ولِمَ لا.. يا دكتورة، نحن من نصنع مصيرنا بأيدينا، ههه على فكرة الجنس حق يكفله الدستور، والقانون، وكله بالحلال، أتزوج بأي رجل يروق لي، ويتم الطلاق بالمعروف.

قالت:

- **ممكن نتسلى بالكلام حتى يطلبني زبون، ويتفق مع مدام لولو، ويمضي عقد الزواج العرفي.**
- .....
- .....

أستمر الحديث لساعة، قالت لي وهي تشملني بعينيها الثاقبتين:

- **يا دكتورة أنا لا أستحق الرثاء نعم.. أنا جميلة؛ باهرة الحُسن، لكنني أمتلك ما يفوق الجمال والحُسن ؛ ذكائي.... وجسدي!**

جاء زبون شاب في الحلقة الثالثة، ينساب شعره على كتفية، تبادلنا نظرة، ومالت نحوي وهمست ضاحكة:

- مثل هذا المسخ مستحيل أنام معه، إلا مضطرة، وحقيقي انتهت فترة العدَة منذ أسبوع، والليلة أحتاج ألعب مع رجل.. هههه

وأولته ظهرها، فجلس ينتظرها.

قالت:

- أتزوجه عرفي ليلة، وأمري إلى الله.

احتويتها بنظرة، وكأنني على وشك اكتشاف سر، وقالت:

- عم سعيد أول رجل أخذني غصب عني.

أتسعت عيني، وتساءلت مستنكرة:

- عمك؟!

- زوج أمي، اغتصبني.

واضطجعت على الفوتيل، وشرعت في خلع الملس عن جسدها، وقالت، والشاب يوقع عقد الزواج العرفي مع لؤلؤة:

- ربما أغويته –دون أن أدري– وداخ حولي مثل النحلة سنة كاملة.

- وأمك؟!

ألقت ثوبها على الفوتيل، وقالت:

- هي أصل الحكاية.

وقفت وهي تستدرك:

- لو عندك وقت انتظريني.

هممت بالانصراف وهي ترجوني بمعاودة الزيارة، لكلام كثيرة ستقوله لي، واستدارت للشاب، عبثت بشعره، وقادته نحو الغرفة.

** **

رن الهاتف، رفعه الرائد حلمي في لهفة، وقال:

- **ألوه، نعم يا عادل، وصلت؟**
- **نعم؟!**
- .....
- .....

أغلق الهاتف، وألتفت إلى علا، وقال:

- **لؤلؤة السويسي، في العناية، ولن نستطيع استجوابها.**

أبدت أسفها، وغمغمت:

- **كنت أعرف أصابتها بالكلى.**

حرك سبابته على الشاشة، فظهرت صورة لؤلؤة السويسي، وقال وهو يلتفت نحوها:

- **أنت وبسة البواب، من يمتلك حل لغز هذه الجريمة.**

ثم شملها بنظرة، وهمس لنفسه.

أخشى أن يكون اللغز أكبر من بسة البواب، ودكتورة بددت زهرة عمرها في محاولة بائسة لإصلاح البشر، وهي غير قادرة على إصلاح نفسها.

** **

الفصل الخامس

البواب

بدوي بسة

تفحص الرائد حلمي وجهه الأملس، وهو يقاوم ما رسخ في رأسه منذ النظرة الأولى، بأن لهذا البواب دورًا في الجريمة، فلم يعتد أن يستبق التحقيق، ويلقى بالتهم بدون دليل، مس الشاشة، فظهرت صور أعضاء الشبكة، وراقب عيون بدوي الجافة، الميتة، وسأله:

- أحك ما تعرفه يا بدوي؟

تفحص وجوههن، وقال بصوته المخنث:

- الله يقطعهم، كل واحدة كانت تخرب بلد، يلموا فلوس تسد عين الشمس، والأخر يموتوا شحاتين.
- قل لي يا بدوي؟
- خدامك يا باشا.

شمله بنظرة وهو يدور حول مكتبه، وقال:

- لماذا لم تترك العمل، وتبحث عن عمارة، نظيفة. محترمة لا تحوم حولها الشبهات؟

يشعر باستدراج خفي، هو الذي أعتاد على هذه الأسئلة، تسللت الإجابات إلى رأسه.. لأعيد لك ما قلته مئات المرات، ولن أغير حرفًا..

يا سعادة الباشا، أنا ورثت المكان عن أبي، قبل أن تأت الست لولو بهذا الوباء، وتسيء إلى سمعة العمارة، كان السكان ناس محترمين، باعها صاحبها –فلسطيني الأصل– وهاجر بلاد برة، أشتراها تاجر خردة كبير صاحب محلات، ومخازن في السبتية، ومعروف، ووسط البلد، ووو....

.....

تفحصه الرائد حلمي، فلم يشأ أن يدخل في تفاصيل هذا العالم الأسود الشرير، حتمًا ستؤثر هذه التفاصيل عليه، وتفسد صحته النفسية، بل أفسدتها بالفعل، كثيرًا ما كان يعتريه الندم، على إصراره على دخول كلية الشرطة، ويجبره العمل على التعامل مع المجرمين، والسفلة، في هذه الجريمة، بقايا جثة مشوهة، تقرير الطب الشرعي لم يأت بجديد، وقاتل لعين، تتصادم في رأسه احتمالات خارقة، ويشعر بأن الجريمة أكبر من قتل امرأة ساقطة.

أشعل سيجارة، وسأله رغم تقززه من صوته المخنث:

- **تفتكر الجثة لمَنْ؟**

أخفى بدوي ابتسامته، وراء شفقة مفتعلة، وقال:

- **هي الله يرحمها يا باشا باقي فيها حاجة!**
- **يعني.. ممكن تخمن.**
- **الكذب خيبة يا باشا.**

نفس سحابة دخان من سيجارته، وسأله:

- **قل لي يا بدوي، مَنْ أكثر زبون كان يتردد على الشقة؟**

سرح بعينيه، وقال:

- **هو تاجر الخردة، ويهيئ لي أنه أشترى العمارة كلها من أجل عيون لولو هانم، كان يزورها كل يوم خميس، يبيت، و.....**

تحولت ابتسامته إلى ضحكة خبيثة، وقال:

- **هههه ويصلي الجمعة، ويتغدى ويمشي.**
- **كانا متزوجان؟**
- **الله أعلم، لكن هذا التاجر أحد زبائنه لعب في رأسه أن ينزل الانتخابات، نجح وبقى نائب عن الشعب في البرلمان، وقطع علاقته بالشقة، وبست لولو.**

واستدرك:

- **وسبحان الله، بعد سنة قضاها نوم عميق في المجلس الموقر، أصيب بالمرض اللعين في مخه، وسافر بلاد بره للعلاج، لكن رجع ميت، ابنه بعد العزاء حاول يطرد الست لولو، فقدمت للمحكمة عقدًا بالشقة مسجل باسمها.**

** **

الفصل السادس

العايقة[5]

لؤلؤة السويسي

تاريخ حافل حفر في رأسها مسارًا لتجربة فقد الأهل العميقة، شعرت بأنها نبتة صغيرة في مهب عاصفة حتمًا ستقتلعها، لم يبرح ذاكرتها، بداية المأساة، نكسة يونيو١٩٦٧، حيث صرخات الفزع، وصور أسرتها المدفونة تحت أنقاض وسط حريق، وألسنة شياطين جهنم لا ترحم، نفس الصرخات التي كانت تطلقها تحت وطأة آلام الكلى، ترى وتسمع أزيز الطائرات وهي تلقى بالقنابل المحرمة، والصواريخ الحارقة على البيوت، والعمارات، والناس الهاربين، فلا تزال ترى حتى في غيبوبتها الأخيرة، الأقدام المتخبطة، تطرق على جسدها، وهي تبحث عن ثقب للسقوط فيه هربًا من الجحيم، بعد يومين، أقبلت عربات الإسعاف، وظل المسعفون وبعض الأهالي يبحثون وسط الموتى عن جرحى، وهي طفلة تتبعهم بخطوات حذرة، باكية.. خائفة، لعلها تجد أمها، أو أبيها، أو أخيها الحبيب حسني، لكنها لم تعثر لهم على أثر، يقينًا أكلتهم النار الغادرة، جذبها أحد الجيران من يدها، حملها إلى سيارة وسط حشد من المكلومين، ألتفتت حيث ينظرون في قهر وحسرة نظرتهم

[5] **العايقة: مصطلح يطلق على القوادة.**

الأخيرة نحو بقايا مدينتهم، وجسامين الأهل والأحبة، يودعون الموتى، ويلوحون لأدخنة سوداء.

بعد سنوات قال لها عشيق عابر –صحفي مشهور– وهما في الفراش.. هذه هزيمة عبثية يا لولو، أتى على البلد بأكملها، وبدد تاريخًا من الزهو الكاذب، صنعته دعاية فاجرة، غير مسئولة.

وتنهد في مرارة، وقال:

- **آه يا أولاد الكلب، ضحكتم على الشعب!**
- **قالت في حسرة:**
- **الشعب غلبان يا بيبي.**

جذبها من شعرها في عنف، حتى صرخت، وقال:

- **شعب لا يستحق أن يركبه إلا هؤلاء.**

كأي سادي تعمد إيلام شريكته الجنسية، رغم شعوره بالذنب، لأنه كان شريكًا في الهزيمة، وعليه أن يعاقب ذاته.

في الصباح طبع على خدها قبلة، وحمل جواز سفره إلى روسيا وتأشيرة ذهاب بلا عودة.

.....

قالت لعلا:

- تعرفي يا بنت يا دكتورة أنتِ، بعد عشرين سنة رجع، وقال لي لازم أقابلك.
- وقابلته؟!
- هههه في رأس السنة وحياتك، قضيت معه أسبوع عسل ولا في الأحلام، تركت كل الزبائن، وأخليت الشقة لنا.

نظرت إليها ، وسألتها في لهفة:

- ما اسمه؟

انفجرت ضحكتها المخضبة بإيحاء بقايا اللذة، وقالت:

- هههه علي حنتيرة.

ورفعت صوتها بالغناء..

علي حنتيرة واقف يقول للناس

عاوز أحوش الهوى

هو الهوى يتحاش.

وتوقفت عن الغناء، واستدركت ناصحة وهي تمعن في عينيها بنظرة حادة منذرة:

- مستحيل أقول لكِ؛ سر المهنة، هذه الشقة دخلها رجال حكاية، جاه، وسلطة، ومناصب، وهيلمان، ولولاهم كنت عفنت في سجن النساء في القناطر منذ زمن.

هامت ملامحها وتذكرت زمنها السعيد، وقالت:

- **زمان وأنا بنت وورور، واحد من الزبائن سمع صوتي، زن على دماغي، سأعمل منك نجمة استعراضية، ولا نعيمة عاكف في زمنها، ومرة كنت في حفلة حمراء سكبت زجاجة خمرة كلها في جزمتي، تنافس باشاوات على الشرب منها.**

واستدركت أسفة:

- **الله يقطع التدخين، قطع نفسي، وأفسد صوتي الحلو.**

** **

قالت علا لحلمي:

- **الهزيمة كانت انهيارًا نفسي وأخلاقي واجتماعي، نتائجه كارثية.**

فرك عينيه بكفه، وقال:

- **أرجوك يا دكتورة، لا وقت عندنا لحصة تاريخ.**

وعاود النظر إلى الشاشة، وقال:

- **لولو كانت فعلًا أستايل، حتى وهي على المعاش.**

أغرقته بنظرة، وهو يكمل آسفًا:

- **قضيتي في الأساس جريمة قتل بشعة، أما قضايا الآداب، ونسوان الشقق المفروشة، لها إدارة خاصة، طلبت المساعدة، أرسلوا لي داتا "Data" معقولة.**

ثم أخرج سيجارة، وأسترسل حديثه وهو يشعلها:

- **لكن للأسف أحتاج الدخول في تفاصيل هذا العالم السري، أنا أتفق معك في أن أي منحرفة وراها حكاية، ودراما سوداء على رأسها ورأس من انجبوها، هن أما هاربات من الأهل، أو مدمنات، أو نفسية مشوشة، بعضهن يتلذذن بالتعذيب، وانتهاك إنسانيتهن.**

.....

ولكن حسي الأمني يؤكد أن الجريمة أكبر من قتل امرأة ساقطة، نعم.. يا دكتورة كل حالة لها سياقها الخاص، كودها السري، شفرتها.. الإنسان سيظل لغز، تتغير معايير القياس لتظل القيم نسبية، ومهما وصل العلم إلى حقائق، ستظل حقائق نسبية، أعرف ذلك، حتى الجريمة لها دوافع، وأسباب مقنعة لارتكابها، حتى الحق.. الباطل، الجنس، الشهوة، العقيدة، كل شيء نسبيٌّ في هذا العالم.

ثم قال متحديًا:

- **لكن مهما كان ذكاء القاتل؛ سوف أصل إليه.**

يتواصل الطرق على رأسه، يطأ مسار أفكار لا تخطر على بال، ينقب عن أسرار يراد لها أن تموت.. وتدفن.

حتى ولو لم يترك وراءه أثر، ونفذ جريمته بذكاء؟

هههه الجريمة الكاملة، توجد في القصص والروايات فقط.

قطع الصمت المتبادل رنين الهاتف:

- **نعم يا نبيل، ما الجديد؟**

أستمع في هدوء، وغمغم ببضعة كلمات، وتساءل:

- **وأخبار ناديا ديمتري، أم جوليا.**
- .....
- **الإقامة انتهت من ست شهور وسافرت؟**
- **حالًا أرفع طلب للإنتربول يستخرج نشرة، باستدعائها لمصر.**
- .....
- **عارف فيه إجراءات.**

أغلق الهاتف، وألتفت نحو الدكتورة علا، وقال:

- **جوليا أستينوف .**

وحرك أصابعه على الشاشة، فظهرت صورتها، وقال:

- **سافرت موسكو منذ شهرين.**

تابعته وهو يلقى عليها نفس نظرة الشك التي قابلها بها منذ اللقاء الأول، وسألته:

- **هل تظن أنها ارتكبت الجريمة وهربت؟!**

- **الاتهام لا يقوم على الظن، يحتاج قرائن، وأدلة.**
- **جوليا لم أتحدث معها كثيرًا، لأن اللغة كانت عائق، يبدو لي أنها لا يمكن أن ترتكب جريمة بهذه البشاعة.**

راودته الفكرة، ويقينه الذي يؤكد أن الجريمة أكبر من قتل امرأة ساقطة.

أستراح على مقعدة، وقال:

- **مع الفرض في أنها لم تقتل، ممكن يكون لها دور في تمهيد مسرح الجريمة للقاتل.**

مست ابتسامة وجهها، كان يخامرها أسى، وربما سخرية من خيال الرائد الذي يفتح مسارات للجريمة، ليصل إلى ظن بأنها لم ترتكب بهذه البشاعة لذاتها، ولكن لإشعال الميديا وشبكات التواصل للتغطية على جريمة أكبر، وأمر يدبر، وربما مؤامرة كبرى تمس الوطن.

الفصل السابع

اليوم الثاني، الثلاثاء ٢٧أبريل ٢٠٢١م

أنه في يوم الثلاثاء الموافق ٢٧ إبريل ٢٠٢١

بحضور كلا من ...

.....

بالرينا

جوليا أستينوف

بدت لي منذ النظرة الأولى، كعصفورة صغيرة حالمة، تهيم دومًا مع عزف كونشرتو البيانو الذي يبدأ خافتًا؛ تدور وسط ظلال عرائس الباليه الراقصة.. تذوب قطعة قطعة، تقفز فاردة أجنحتها الخضراء، تلامس بأناملها فقاعات النور الناعمة، وهي تذوب مع عزف ساحر لوتريات، تنساب خطوط جسدها عبر صفير فلوت ناعم، ثم تنتفض عبر الأنحاء على قرع طبول، تلاحقها موسيقى نحاسية صاخبة، تضرب الأرض بسن حذائها الصلب، تدور.. تنتشى، تصهرها مشاعر قوية تضرب اللذة جسدها، وهي تواصل رقصتها هائمة، كنجمة بيضاء عالقة في السماء، حتى تهدأ الموسيقى، تستقر رويدًا رويدًا؛ تضم جناحيها، حتى تقبع وسط بقعة ضوء وسط المسرح كزهرة بيضاء، ترفع رأسها على صوت تصفيق حار، وباقات ورود تتساقط حولها، وفي هدوء ينزل الستار.

جوليا أستينوف تدربت على الرقص في مسرح البولشوي، وعلى الغناء في كونسرفاتوار موسكو، حققت شهرة في سن العاشرة، ونشرت صورها مجلات فنية، تستمع إلى نصائح أمها، دون أن تنبث بكلمة واحدة، تصمت كعادتها، صوتها الخافت مع استواء أنوثتها أمتلأ بجاذبية فريدة، طفلة مثيرة، أغرت الكثير من الرجال، أصطحبتها أمها ناديا دميتري، ضمن وفد سياحي روسى إلى مصر، بعد تفكك الاتحاد السوفيتي، ولكى تضمن إقامة لها ولابنتها بلا مشاكل، تزوجت بعد أشهر قليلة من خبير سياحى، اعجب بها، ولكنه مات بعد أيام من الزواج.

قالت لابنتها آسفة وهما يستقلان سيارة إلى مطار "دموديدوفو الدولي" في موسكو، أثناء النزوح إلى مصر:

- **كنت أعدك لتكوني راقصة روسيا الأولى، حبيبتي جوليا تأجل حلم الفن الجميل بعض الوقت، لكن لا يهم، الإمبراطورية السوفيتية تفسخت، لكن حلمنا قائم.**

كان يقينها بأن انهيار إمبراطوريتها السوفيتية، فتح الأرشيف الماسوني الذي انتقل إلى موسكو كغنيمة حرب، من ألمانيا النازية، وتم حفظه بسرية تامة، وسوف يقبض على العملاء، الذين غرسوا في مفاصل الاتحاد السوفيتي، وتصحح الأخطاء، وتعود روسيا قوة عالمية مرة أخرى.

الأم ذات العزم القوي، أصرت على تحقيق الحلم، مهما كانت الصعاب، بعد خمس سنوات، لم تنقطع نصائح ناديا ديميتري لابنتها..

حبيبتي جوليا طال الوقت أم قصر، حتمًا ستستقر الأمور ونعود إلى الديار، ونحقق الحلم الكبير.

هي على استعداد للتضحية بأي شيء، ليتحقق حلمها، ألحقتها بأحد مدارس الباليه.

** **

طرق الباب، ودخل الظابط نبيل:

- **خيرًا؟**

أعطاه فايل، به أسطوانة مدمجة، وقال:

- **تفضل تفريغ كل المكالمات على أرقام الموبايلات الخاصة بأعضاء الشبكة.**
- **عظيم.**
- **فيه ملاحظة مهمة ..**

قدم له قصاصة ورق، وقال:

- **هذا الرقم لا توجد عليه أي مكالمات.**

انتبهت ملامحه، وأستدرك نبيل:

- رقم جوليا أستينوف

تحول الانتباه إلى شك، وقال:

- أكيد الرقم محفوظ ببرنامج حماية.

علت وتيرة الشك، وتفحصني بنظرته..

شفرة! شغل مخابرات أو مافيا!

وغمغم:

- لو جوليا هي القتيلة، تكون الجريمة عابرة للحدود، ولو هي القاتلة..

قلت:

- تكون قاتلة عابرة للحدود!

طرق المكتب بأصبعيه، فقد واصلت المسارات تقاطعها في رأسه، لتستقر عند بقعة سوداء غائمة، يطلب قهوة خامسة، وعاشرة، ويهمس لي:

- مدرسة خاصة لتعليم الباليه!

- نعم.

رفع الفنجان إلى شفتيه، وغمغم:

- ألم تلاحظي أنها مختلفة عن البستتيود "بنات الهوى"؟

- يقينًا، كل واحدة منهن لها مزاج خاص.

احتواها بعينيه، وقال:

- **أقصد أنها.. مثلًا لم تكن ذات أفكار مشوشة، أو.. شهوانية.. مزعجة مثلًا، مريضة بالجنس، أم كانت منضبطة، قادرة على التحكم في غريزتها، وكبح رغبتها؟!**

كان يحتويني بنظرة كطوق حديدي، لم أشأ أن أخرج كل شكوكي، كل أفكاري، توقفت عن سبر أغواره، لن أجاريه.. لأتأخر عنه خطوة، أو خطوتين، أو اتخذ مسارًا أخر.

- **كانت اللغة عائقًا بيننا، فلم أفهمها بشكل كامل، ولكنها كانت هادئة بشكل واضح.**

أومأ برأسه، وغمغم:

- **أكملي.**
- **واصلت التدريب والدراسة.**

قاطعني وكأنه يفكر بصوت عال:

- **بخبرتك لم تلاحظي أنها قد تكون تم تدريبها على أشياء أخرى غير الباليه، والغناء.... مثل....!**
- **مثل ماذا؟!**

فتح درج مكتبه، تناول أسطوانة مدمجة (CD) أدخلها مكانها في الشاشة، وقال:

- أوبرا شهر زاد، أتذكر وأنا طفل صوت زوزو نبيل.. بلغني أيها الملك السعيد ذو الرأي الرشيد، ههه....

وأستعاد جديته، وقال:

- أرسلت الإدارة هذه المادة إلى جهة سيادية، وطلبت مساعدة، واتخاذ اللازم.

مس الشاشة بسبابته، وقال:

- فكري معي يا دكتورة.

أمعنت بنظرة عبر ملامحه، تواردت على رأسي الأفكار، وذراعين يكبلاني، تقبض على فمي؛ زاغت عيني، وأنا معلقة على مضجع فوتيل، لم يكن وجه الرائد حلمي مخيفًا هذه المرة، بل العكس، بدا هادئًا.. وديعًا، وهو يستمع إلى موسيقى نيقولاي كورساكوف الناعمة، رأيته وسط دائرة بيضاء، وبدت لي تفاصيل فكرته شيئًا فشيئًا، قلت مرتعدة:

- هل تعتقد أنها جاسوسة؟!

- هي.. أو أمها... ناديا ديمتري، أو الاثنتين معًا.

وتابع النظر إلى جوليا وهي ترقص رقصة شهر زاد الأخيرة، ثم قال:

- المكان.. فندق طابا، الزمان.. منذ عام.

أخذ رشفة من الفنجان، وقال:

- التحريات أثبتت أنها قضت شهر في سويت خاص بصحبة مليونير غاز روسي، له علاقات متشعبة، وتأثير سياسي.

وأطرق مفكرًا، وهو يختلس بعض النظرات، كنت أحاول قراءة أفكاره...

ربما... لا لا. يقينًا هذا المليونير الروسي على علاقة بالمافيا الروسية، أو ك ج ب "المخابرات الروسية"

هههه ضحكت رغمًا عني، وهتفت..

تبًا لكل المجرمين.

رويدًا بدأ ضجيج الأفكار أكثر صخبًا، شعرت بأنني على فوهة سقوط جديد في بئر معتم، تشبث وعيَّ بالحضور، لم يشأ أن يغيب عن اللحظة الفاصلة، اقتحمته –الوعي– نظرة نانا العميقة، الباردة، لم تتوار بوجهها طوال ساعات التحقيق، بل استقرت نظرتها العابرة، السؤال يلاحقني.. هل لها دور في الجريمة، هل هي القاتلة؟! أم المقتولة، التي بعثرت أشلاءها، وحرق جسمها الجميل؟!

نظرت نحوه، تأملته، وأفكاره تتواصل.

يقينًا ألتقط جوليا مسئول أمني؛ وتم تدريبها على حيل التلاعب النفسي، والعبث بعقل الزبائن المنتقين، للوصول إلى نقطة الضعف بالإغواء الجنسي، هذه الأساليب يتم التدريب عليها لاستخراج المعلومات، بالتهديد أو الترغيب.

ابتسم الرائد حلمي، وقال:

- فكرة وجودها ضمن شبكة لؤلؤة السويسي، يرجح أنها نالت تدريبًا.

غمغمت، وكأنني أكتم سرًا:

- وربما لم تجد مهنة غيرها.

صمت، فأومأ برأسه، كنت بالفعل أقوض أساس فكرته، واقطع الطريق أمامه، هي جريمة قتل عادية تمت بسب الانتقام، أو الغيرة، أو الجهل، أو لأسباب سادية مفرطة، أما الحديث عن مافيا، وجاسوسية فهذا كلام كبير، وتفكير واهم لا يخصني، ولا يشغل تفكري.

قلت له:

- لو نالت تدريبًا عن الجاسوسية، ما كانت مضطرة إلى التردد على شقة مشبوهة، عرضة للقبض عليها في أي وقت، وعمل ملف لها في الآداب، ووضعها تحت المراقبة.

هز رأسه، وقال:

- أنتِ ست العارفين، بعد تفكك الاتحاد السوفيتي، تفككت معه المنظومة الأمنية، ولم يعد النظام الجديد في حاجة إليهم.

وقف ودار حول مكتبه، وهو يكمل فكرته بصوت عالٍ:

- حتى أستقر النظام، وبدأ فلاديمير بوتين"*" يبحث عن الخلايا النائمة، عصافيره الشاردة.. المدربة، لخدمة الوطن، وربما تمت الجريمة خدمة للوطن، ألم أقل أن الجريمة –ربما– يكون لها حجج مقنعة.

جلس قبالتي، ومال بجذعه نحوي، تفرس في وجهي، يقرأ صفحته، زممَّت شفتي، أمسكت فمي، فلم أشأ الانزلاق نحو حقل ألغام، حتمًا يعرف الرجل أشياء يخفيها –كما أنا أعرف أشياء وأخفيها– هو يقترب من حل لغز الجريمة، ويبحث عن جزء ناقص.. دليل مادي، حقيقي، ليغلق القضية، وأحولها للنيابة، أنقض صوته:

- **أحكِ.**

تمالكت نفسي، وقلت:

- **أول معرفتي بها، كانت خناقة.**

.....

"*" فلاديمير بوتين رئيس روسيا.

- .....؟!
- **خناقة بين جوليا وعفاف عصام.**

نقر بسبابته على الشاشة، فظهرت صورة عفاف، وقال:

- **العضو الرابع في الشبكة.**

** **

الفصل الثامن

المدام

عفاف عصام

ابتسمتُ في وجه حلمي، وقلت:

- عفاف عصام قدمت نفسها لي كسيدة أعمال.

قال الرائد حلمي:

- لم تكذب، هي فعلًا سيدة أعمال.

تطلعتُ إلى صورها التي توالت على الشاشة، وكأنني لم أرها من قبل، جمالها فريد، بشرة حمراء ملساء، عيونها سوداء ساحرة، حتى وهي تقترب من الأربعين، ظل اعتدال قامتها، وتألق جسدها وكأنها بنت بنوت، مغموسًا بلفحة إثارة ساخنة، تأملت نظرتها التي يكتنفها خوف من مجهول، وربما قلق من مآل تخشاه.

.....

قالت لي ذات مساء في حزن إلى حد البكاء:

- البدايات لا تنبئ أبدًا بمآل الإنسان، أنا.....

.....

واصلت حكايتها، أخرجت شهادتها –ربما شهادة مجروحة– عن سيرتها:

- أنا خريجة الجامعة الأمريكية، بابا "عصام شوكت" كان بزنس مان، مليونير على قد حاله، شركة توكيلات، إفراج جمركي، شحن.. تفريغ، تحدى مسئول كبير فلفق له تهمة، مات بابا في السجن بالذبحة.

اغرورقت عينيها بالدموع، وأكملت أسفة:

- ولكن الحقيقة، أنه قتل.

أخرجت منديلًا، واستدركت:

- ماما لم تضع وقتًا، تزوجت أحد ذيول المسئول الكبير

شملتني بنظر، واستدركت مؤكدة:

- نعم قتلاه.

وواصلت في مرارة:

- واجهتُ أمي بأن زواجها من قاتل أبي، دليل على دورها في الجريمة.

صرخت متوعده:

- لولا أنك أبنتي، لقتلتك!

كدت أخنقها، وبالفعل فكرت –في هذه اللحظة– في قتلها، وتشويه جسدها.

وسألتها متحدية:

- مَنْ أبي؟!

صفعتني، رغم يقيني من أن بابا كان هو الحقيقة الوحيدة في حياتها، فأنا أحمل نفس ملامحه، لون عينيه، خديه.. شفتيه، حتى صوته، كل جيناته

الوراثية، تركت الفيللا وهمت على وجهي في الشوارع، تجرعت أسوأ الخمور، بعت سيارتي، وبددت ثمنها حتى أخر جنيه في جيبي، واضطررت للعمل، مضيفة في الفنادق، ريسبشنست.. جارسونيرة، –لم تقل أنها عملت "بَستتيوت "prostitute" "*"– شافني نجيب عباس، ومن هنا كانت البداية.

وكانت بدايتي أيضًا، وجدتها نموذجًا مثاليًا لدراستي، نموذج حالة.. مكون نشيط من السادية المتحولة إلى مازوشية، كانت لحظة موت الأب هي الفاصلة في تحولها، والتفكير في قتل الأم.

منذ خمس سنوات.. تقريبًا.. ألتفتت نحوه، وهو يقترب من البار، كان يتفحصها بنظرة حريرية، أدركت حقيقتها، فهي خبيرة بها، لم تكن نظرة إغواء، ولا اشتهاء، بالقطع كانت نظرة تاجر، وخبير مثمن، تابعتها وهي تحتويها برفق كقطعة جواهر ثمينة، على قطيفة ملساء، تختبر بريقها، ملمسها، حتمًا هي نظرة لص.

وكل اللصوص سواء.

رفع كأس نبيذه الفاخر، وقال:

- نجيب عباس.

برهةُ صمت، نضحت على شفتيها كابتسامة رائقة، ثم قالت:

- أعرفك.

قال لها حارس الفندق، قبل يومين، الرجل ذو الكرش الممتلئ وبعينيه الجاحظتين:

.....

"*" باستتيوت "prostitute" بائعة الهوى.

- **نجيب عباس إمبراطور وسط البلد، يمتلك نصف شارع الفجالة، والجمهورية، وعمارة في الزمالك.**

واستدرك غامزاً بعينيه، غمزة قواد محترف:

- **أعطه بحساب، يشم فقط، حتى يدمنك، فتمتلكيه.**

منحته بقشيشًا، وقالت:

- **خذ يا عمر.. حلال عليك.**

هي تعرف مدى جمالها، أنوثتها دسمة، فريدة، لها إغراء خاص، تملؤها نظرة أمها القديمة تحوم حولها كنحلة مشاكسة، مملؤة بغيرة عميقة، كريهة هذه النظرة ظلت تطاردها لسنوات، حتى توجست من كل النظرات التي تلاحقها.

بدا الارتياح على وجهه، وقال:

- **وأنا لا أعرفك.**

حركت الكأس فأحدثت قطعة الثلج رنينًا خافتًا، وقالت:

- **امرأة تحتاج الحب.**

شعت ابتسامة ارتياح على وجهه، وقال:

- **ممكن تشرفيني.**

أشار لها رافعًا يده، استقرت نظرتها لبرهة أخرى، فأومأ بوجهه، وغمغم:

- **هيا.**

تركت يده المعلقة، وهزت رأسها رافضة، وقالت:

- **أنت فهمت غلط.**
- .....
- .....

.....

قال الرائد حلمي:

- **نجيب عباس، ثاني رجل تأت سيرته، هذا لو اعتبرت بدوي بسه البواب رجلًا.**
- **نجيب عباس سبب الخناقة بين جوليا، وعفاف.**

في هذا اليوم، فتحت الباب ودخلت ثائرة غاضبة، تلفتت في الصالة، وصاحت:

- **أين خاطفة الرجال؟!**

خرجت لؤلؤة إليها، وتساءلت:

- **تقصدي مَنْ يا عفاف؟!**
- **البارلينا جوليانا، عينها من زوجي.**

خرجت جوليانا شبه عارية، ثم شرعت في ربط شريط الروب، وتساءلت:

- **زوجك؟!**

هجمت عليها عفاف، وواصلت الصراخ في وجهها:

- **نجيب عباس زوجي يا حلوة.**

تخلصت منها جوليا وجلست على فوتيل، وقالت في هدوء:

- **نجيب أنكر أنه زوجك.**

واصلت عفاف ثورتها:

- **نجيب زوجي غصب عنك، ومن يوم ما أشترى لي شقة "أبو الفدا" فى الزمالك وأنتِ بتلفى علية.**

قلت لها:

- **أهدأي يا عفاف.**
- **لا.. لازم تبعد عنه، وإلا....**

صاحت لؤلؤة، وقالت:

- **أنا واصلة حالًا من جلسة غسيل، وجسمي مفكك، أنا قلت انتهينا..**

نفست عفاف غيظها، وقالت مهددة:

- **أخر إنذار لها، وأنتم شهود، لو لم تبتعد عن الرجل، سأشوه ملامحها الوسيمة، وأولع فيها بجاز وسخ.**

ظلت جوليا على هدوئها، وهي تقول:

- **"تى غْلُوبى" أنتِ غبية "أُن دْفا "هو يومين "داسفيدانيا " يرميكِ مع السلامة باى باى.**

كزت عفاف على أسنانها، وقالت:

- تسبَنيّ بالشيوعى بنت الشيوعية.

تعلقت بيدها واصطحبتها إلى الخارج.

.....

احتواني حلمي بنظرة الشك، وسألني ليؤكد فكرة في رأسه:

- عفاف قالت.. لو لم تبتعد عن الرجل، سأشوه ملامحها الوسيمة، وأولع فيها بجاز وسخ؟

وأستدرك:

- وحصل؟!

رفع سماعة التليفون في سرعة، وقال:

- نقيب عادل، خذ الملازم نبيل والملازم حسن، وقبل بكرة يكون فيه معلومات عن نجيب عباس، وعفاف عصام على مكتبي، ضروري.

أغلق الهاتف، واحتواني بنظرة ماكرة، وقال لي:

- عفاف اعترفت، والاعتراف سيد الأدلة.

قلت في ثقة:

- عفاف لم تقتل جوليا.

- قالت بلسانها! اعترفت، وأنتِ ولولو، وكل الموجودات شهود، قالت.. سأشوه ملامحها، وأولع فيها بجاز وسخ، وحصل.

وأضطجع على مقعده، وتنفس في راحة، وقال:

- **نعم.. كنت اشك في كل منه له علاقة بهذه الجريمة.**

وتفحصني بعينيه، وأستدرك:

- **حتى فيكِ يا دكتورة.**

اقتحمني بنظرته..

.....

قلت في مذكراتها بأنها.. كادت تغرس أظافرها في عنقه، وهي تشعر بأنه على وشك السقوط فوقها كحائط، كادت تشعر بأسنانه وهو يغرسها بين ساقيها وسط دائرة معتمة.

تفحصته بنظرة، وقلت في ثقة:

- **عفاف لم تقتل جوليا، إلا إذا أردت أنت؛ لتغلق ملف القضية، وتحولها للنيابة.**

لم أقل له، ما قالته لي..

أنا افتعلت الخناقة لكي....

أسقطها في البئر الأسود إلى جوار سقطاتي المرة.

شملني باهتمام، وأنا أكمل:

- **جوليا سافرت قبل الجريمة، مثبت ذلك في المطار، وما قالته عفاف لجوليا مجرد تهديد.**

فرك جبينه، وتساءل:

- **ما حكاية نجيب عباس؟**

وأنا أخرج الموبايل، غمغمت:

- **سأحك لك.**

أعطيته الموبايل، وقلت:

- **نجيب عباس سافر قبل الجريمة، وهذه محادثة واتس بيننا، كنت قد اتفقت معه على نشر مقالاتي في كتاب، المحادثة عليها التاريخ، قبل ثلاثة شهور، كان في طريقه إلى المطار، لحضور معرض الكتاب في فرانكفورت.**

فتحت له المحادثة، وهو يتابعها، قلت:

- **نجيب عباس صاحب "العباسي" دار نشر كبيرة لها فروع في كل دول العالم تقريبًا.**

** **

الفصل التاسع

العباسي

نجيب عباس

رغم عمره الستيني، كان يعتد بلياقته، وقامته.. وربما زادته تجاعيد الوجه الناعمة وسامة هادئة.

قال لي.. الأفكار تتناسخ، ربما كان ذلك بداية اعتقاد أجدادنا القدماء بتناسخ الأرواح، وهو يشمل مظهري الذكوري، تأففت منه.. حتمًا هو رجل قذر.

ألتقيت به في الأسانسير، وعندما قصدت نفس الشقة، أتسعت عيناه، وتساءلت ملامحه..

معقولة أنتِ منهم؟!

قال:

- أول مرة أراكِ!

شرحت له مقصدي من الحضور فور دخولي، وأرسلت له رابط مدونتي، عليه مقالاتي المنشورة، في اليوم التالي، أتصل بي بعد قراءتها، وقال:

- أتمنى تشرفيني في مكتبي، ممكن أجمع مقالتك في كتاب، ولو يستحق سأقوم بترجمته إلى كم لغة.

سألته في حدة:

- من أعطاك رقمي؟

- عفاف.
- .....

لم أرحب بالفكرة في البداية، ملأني التردد من مصاحبة الرجل –وهذا الرجل بالذات– ربما كان ذلك سببًا في أنني لا أهتم بمظهري، لا أريد أن يطمع فيَّ أحد، أو يراودني عن نفسي؛ يطاردني حتى أضعف، وخاصة هذا النوع، رجل يرتاد شقة مفروشة حتمًا يُخشى منه، السير معه شبهة، والتعاون معه تهمة جاهزة لفتح ملفها، ويقينًا له ملف في الآداب، وتتابعه الجهات الأمنية، تنتظر سقطة له، تسلمه لمنافسيه لأكل لحمة، وهتك عرضة، في الصحافة، والسوشيل ميديا قبل الإجهاز عليه، أو مساومته، ليكن عضوًا صاغرًا في القطيع، أو يقود قطيعًا عنقوديًا، يستخدمه لنشر ما تريد ترويجه من أفكار، أو ربما حدث ذلك في تاريخ سابق، ويرتاد هذه الشقة لاستكمال دورًا، كنت أواصل مسيرتي في إهمال مظهري، وأترك الزغب الكثيف ينتشر على وجهي، رافضة أن أكون مجرد جسد، فعلت ذلك عن وعي، واعتبرته نوعًا من التمرد، واللامبالاة، حتى ظن بسه البواب بأنني شاذة، سحاقية! كان يتابعني بعينيه الجافة، الميتة، وإيحاءات مريضة، شملته بنظرة مقرفة، وكأنه خرج من رحم فكرة خبيثة، ذات رائحة كريهة، كانت تتوالى كلماتها أمام عيني، وعلى صفحة وجهه، أعرف انه حتى لا تفقد الأنا المضطربة حريتها تستعمل جسد الآخر أداة، يعذبه.. ويهينه، حتى يجعله شيئًا قبيحًا، آه هـ هـ ... يستدرجني القواد للخضوع إلى حياض مازوكيته المريضة.

لعنة الله على كل الفاسدين.

كنت أتجاهله، وانتبه لإشاراته بلا مبالاة، اعتبرته نموذجًا مازوكيًا يتنازل عن عبء الحرية، ويتلذذ بالعبودية.

خطا نحوي وقال:

- فيه هانم "أخر ألاجة، كريم شانتيه" سألت عليكِ.

وناولني كارت عليه اسمها، ورقم هاتفها.

قرأت اسمها، وسألته :

- ماذا تريد؟

غمز بعينيه، وهو يلج سبابته اليمنى في قبضته اليسرى، ضاغطا بأسنانه على طرف لسانه، في إشارة جنسية مشينة، هبطُ من السيارة، واقتربت من مستنقع رائحته القذرة، فغمت أنفي عفنها الآسن، وأومأت برأسي متأهبة، فأفرج شفتيه عن ابتسامة قواد، وقال:

- تطلب خلوة معك، هنا في الشقة، أو في فيلتها، كل ما تطلبيه منها، لو طلبتِ لبن العصفور، المهم تبسطيها.

أفصح عن مقصده، وكان لابد من تلقينه درسًا، خلعت حذائي، وأنهلت على رأسه:

- خلوة يا لوطي يا ابن الكلب.

تراجع أمامي هجومي الذي لم يتوقعه، وأنا أواصل سبابي القذر.

بعد يومين، عبرت مدخل العمارة، وأنا أنتظر الأسانسير، أولاني ظهره وأخرج الموبايل، وأخذ يتحدث، كنت على ثقة من أنه لا يوجد من يحدثه، فهو يتحدث إليَّ، ليرسل رسالة:

- **أنا أتبهدلت منها يا ست هانم، هي رجل بحق وحقيق.**

أقسم وهو يلتفت نحوي بعينيه:

- **عليَّ الطلاق لها شنب، حضرتك تصرفي معها.**

تحاشيت النظر إليه، ودلفت إلى الأسانسير.

** **

عقدت العزم على الذهاب إلى مكتب العباسي، ولن أسمح له بأي خرق لبنودي، أستقبلني هاشًا باشًا، وقال وهو يطلب من سكرتيرته قهوة طلبتها:

- **مقالات ممتازة، لكن ينقصها حاجات مهمة.**
- **مثل؟**
- **تعرفي يا دكتورة أن تاريخ البغاء منذ الخليقة، وفي مصر موجود منذ أيام الفراعنة، هي أقدم مهنة في التاريخ.**

غمغمت:

- **لكنه كان يدخل ضمن عقيدة الكهنة، بما يعني انه كان سلوكًا مقدسًا.**

- هذا ما أقصده، المقالات لكي تكون كتابًا، تحتاج نبذة تاريخية، والكتب كثيرة، وعلى النت ممكن تستعيني بها، مكبتي تحت أمرك.

وضعت الفتاة القهوة، وانصرفت، فأشار لي:

- تفضلي.

.....

كنت على يقين من أن تشجيعه لي، حيلة لإثبات ذاته، ورسم صورة له في عيني.. فاخرة، مصقولة.

ووا.. هذا رجل خرافي، راقي، مثقف، ولكنه للأسف يعاني من تورم ذاته يشعر بذكوريته، كانت حيلتي لكسر إيهامه، وإحباط تودده، هي اللامبالاة والكراهية المضمرة.

تكررت لقائتنا، ولم يتعد حدوده معي بنظرة أو بلفظ، شجعني كي أقرأ بعض الكتب المتوافرة في مكتبته، أنصت لحديثي باهتمام شديد، وأكتفى بالتعليق كان يرد بجمل بسيطة، عندما انتهيت من الكلام، قال:

- مشكلة الكتاب أنك متعاطفة مع كل حالة كتبت عنها، حقًا التفاصيل الإنسانية مهمة، لكن الأهم كيف تستثمرين الـ "**details**" التفاصيل لتصلى إلى نتائج علمية مهمة.

فتح ورقة كتب عليها ملاحظاته، وواصل حديثه:

- والملاحظة المهمة، أقولها لأى كاتب؛ تجنب إصدار أحكام، دع الحكم للقارئ أعطه فرصة أن يحكم.

قلت وأنا أهم بالانصراف:

- **ما أقصده أن يتعاطف القارئ مع المنحرفات ولا يصدر حكمًا ضدهم.**

هو يصطحبني إلى الباب، قال في حماس:

- **أكتبِ كل ما يخطر على بالك. بشرط أن تكون كتابة علمية موثقة.**

ودعني بابتسامة ناعمة أضاءت في عقلي طريقًا جديدًا، وشحنتني برغبة في الانتهاء من الكتاب في أسرع وقت.

** **

الفصل العاشر

البواب

بدوي بسة

طأطأ رأسه وهو يقف أمام المكتب، تسللت منه نظرة خبيثة نحو الرئد حلمي الذي يفر صفحات مدونتي، ويختلس له نظرات بين لحظة وأخرى، تناول ورقة ثم أغلق المخطوط وسأله:

- كنت تحرشت بالدكتورة؟

هتف مستنكرًا:

- أنا؟!

احتواه متأففًا، وجرى بعينيه على صفحة أمامه، وقال:

- طلبتها امرأة من زبائنك لخلوة في الشقة، أو في فيلتها، وقلت لها.. كل ما تطلبيه منها، سيكون جاهز، لو طلبتِ لبن العصفور، المهم تبسطيها.

أفصحت عن نيتك السوداء، وكان لابد أن تلقينك درسًا.

رفع الورقة، وأشار بها، وهو يواصل:

- كتبت الدكتورة" خلعت حذائي، وأنهلت به على رأسه" وصرخت في وجهك.. "خلوة يا لوطي يا ابن الكلب" وضربتك بالجازمة، ولولا الناس بعدوك عنها، كانت عملت لك عاهة مستديمة.

غمغم:

- ست مفترية! هي أصلها رجل.. ناقصها شنب.
- ما الحكاية يابسة؟
- الحكاية في كلمتين، هانم محترمة سألت عليها، بقول لها، هانم سألت عليكِ، لم أكمل الكلمة مسكت فيَّ، وأنا متربي لم أرد عليها.

ضحك الرائد، وبصق في منديله، وقال ساخرًا:

- ههه متربيَّ!

واردف بجدية حادة:

- الدكتورة كاتبة كل حاجة عنك.
- يا باشا كله كذب.

مال بجذعه على المكتب، وقال:

- كان فيه خواجات غير جوليا ترددوا على الشقة؟
- خواجات صنف أفريقي، لكن الست كانت تطلب منهم فيزيتا عالية.
- ....؟
- كانوا مفتريين، وممكن الزبونة تموت تحتهم ولا يحسوا، حمار بعيد عنك يا باشا.
- وجوليا الروسية؟
- عروسة حلاوة، حتة قشدة، كان لها زبائن خصوصي.

أغلق الكتاب، فكر في سياق الجريمة الغامضة، بحث عن كودها السري، شفرتها.. هل ستظل لغزًا، ما هي دوافعها، الأسباب المقنعة لارتكابها، نظر إلى بسة، وسأله متفكرًا:

- **تفتكر ممكن الدكتورة علا كان لها زبائن، والكتاب كان حجة للدخول والخروج؟**

انسابت ضحكته الناعمة فتردد صداها، ثم قال:

- **الدكتورة! زبائن! قلت أنا أشك أنها رجل، إلا إذا كان زبائن شمال الشمال.**

كاد يسحقه بنظرة شك، وقال:

- **لذلك سألت عليها هانم "محترمة"**

هز كتفيه، وقال:

- **كل شيء جائز يا باشا!**

وكأنه يقدم نصيحة:

- **أكشفوا عليها.**
- **وعليك.**

رفع طرف جلبابه، وهتف في حماس:

- **أنا جاهز يا باشا.**

تأمله في قرف، وقال:

- **أنت ما تصدق.**

ورفع صوته مناديا:

- **عسكري، خذه الحجز.**

** **

الفصل الحادي عشر

الدكتورة

علا الشرقاوي

قالت عفاف محذرة، ونحن في الطريق إلى الزمالك:

- هذه البنت الشيوعية خطر.

منذ اللحظة بدأ ضجيج الأفكار، والشعور بفوهة سقوط جديد تنتظرني، وتشبث وعييَّ بالحضور، أبقيته راسخًا، لم أشأ أن يغيب عني، وأنا أطارد هذه الفكرة الملعونة، عن المافيا، والجاسوسية. فهي ليست قضيتي ولا تخص كتابي.

رفعت عيني إلى صورتها في المرآة، وهي تقول:

- جوليا شغالة لحساب ناس ثقيلة قوى، هنا وفي بلدها.

رفعت حواجبي مستنكرة، وقلت:

- كلام خطير.

ابتسمت بشفتيها المصبوغتين بأحمر قاتم، وقالت:

- لن أقول أكثر من ذلك؛ حتى لا نقع في المحظور.

كانت تحتويني بذات نظرة نجيب عباس، الذي أكن له كراهية عتيدة، ونظرة حلمي الحسيني، التي حاصرني بها فيما بعد، نظرة سوداء عميقة طوقتني كطوق حديدي، هاجمتني الشكوك، راودتني فكرة التوقف عن النبش في هذا

الجحر السام، فلن أكتب كلمة واحدة بعد الآن، وليذهب الكتاب ولتذهب لؤلؤة وفريق العاهرات معها إلى الجحيم، تبدد يقيني من أن ما نشرته ربما حمل تهديدًا لشخص ما، أو جهة ما، طوقني الخوف، وسقط أرضًا، وقد تلاشت قدرتي على ارتكاب جريمة أقسى من القتل؛ أنتقم بها من الجرثومة الذي لوث جسدي، وترددت كلمة حلمي الحسيني.. "ربما كنت المقصودة بالقتل".

كان يتفحصني بعينيه العميقة، وهو يطمئنني " يمكنني حمايتك" كان يحثني لأفتح خزينة أسراري

اجتازت السيارة شارع حسن صبري، أشرت لها:

- **مرسي.. أنا متعبة، شكرًا على التوصيلة.**
- **أنتِ ساكنة فين؟**
- **في المنيرة.**

أدارت عجلة القيادة، وغيرت اتجاه السيارة، وقالت:

- **أوصلك.**

كنت أود أن أهرب منها، ولكنها أصرت على التودد ليَّ، قالت:

- **حصل خلاف مع نجيب، وأتعشم تتوسطي بينا.**
- **لكن...**

قاطعتني راجية:

- أرجوكِ، أنا ما صدقت تزوجته، وأنهيت علاقتي بالماضي.

عبرنا النيل، سبحت عينيَّ بعيدًا عن وجهها حيث أضواء سفن سياحية ملاصقة للكورنيش، ولكنني كنت أشعر بظلام دامس أمام عيني، وتردد أصوات غريبة؛ تدق كالأحجار الصلبة على رأسي، كنت على وشك السقوط –عبر لحظة مضطربة– إلى بئر جديد.

توقفت السيارة وأسرعت بالنزول، دخلت أول شارع، وكأنني أهرب شعرت بعينيها تتعقباني، بعد دقائق سرت بهدوء عبرت ممر مظلم، ثم دخلت شقتي، واستلقيت على سريري، وأغمضت عيني.

في الصباح وصلتني رسالته:

- أمامك شهر لتنتهي من الكتاب، سأسافر بعد يومين، أقعدي مع المنسق، ومصمم الغلاف، مستر واصف توفيق مترجم الكتاب سيكون موجود، تكلمي معه.

في العاشرة صباحًا ذهبت إلى مؤسسة العباسي للطباعة والنشر، على الواجهة لوحة ضخمة، حين ولجت مدخلها الزجاجي الفاخر، سمعت صوتها ينادي، ألتفت إليها:

- عفاف!

دق قلبي، وهي تخطو نحوي:

- نجيب أوصاني بكِ، وقال لي.. أنتِ مكاني لحين الرجوع من السفر.

أصطحبتني نحو المكتب، وهي تواصل حديثها:

- أنتِ دخلت دماغه.

جملتها كانت تقترب بي حثيثًا من بئر جديد، أفزعتني لهجتها.. تلميحها.. نظرتها.

دخلنا المكتب، وهي تغلق الباب، قالت للسكرتيرة:

- أنا في اجتماع.

أغلقت الباب، فقلت لها متأففة:

- عفاف لا وقت عندي، ممكن أشرب معك فنجان قهوة فقط.

قالت وهي تخلع سترتها، لتظهر قميصها الشفاف العاري الناعم:

- لا أريد أكثر من ذلك. يكف أقل من خمس دقائق.

علَّت وتيرة أصوات توجسي، وهي تحاصرني بذات النظرة السوداء، تطوقني بها، كأنها حيَّة سامة، تتأهب لحصاري، وتفتيت عظامي، فراودتني ذات الفكرة، لأُنهِ الكتاب، وأبتعد.

سألتها متشككة:

- قلت فيه مشاكل مع نجيب؟!

- نعم. لكن الشغل شغل.

وأردفت:

- أنا لن أضيع وقتك الثمين.

ومالت نحوي، وسألتني:

- ما رأيك؟

أخفيت ارتباكي، وتساءلت:

- في ماذا ؟!

انحنت نحوي، وقالت:

- قلت لكِ.. أنتِ دخلت دماغ نجيب.

ندت على ملامحي ابتسامة مرة.. ساخرة، وأنا أضغط على أعصابي حتى لا تنفجر قنبلة مجنونة تطيح بهذه القوادة، تراجعت على مقعدي لأبتعد عن وجهها القبيح، ورائحة عطرها النفاذة، وتسللت عيني هاربة عبر المكان، وهي تواصل حديثها:

- نجيب ليس له علاقة بالبنت الروسية، أنا افتعلت الخناقة لأصرف عنك النظر، وحتى لا تعرف امرأة منهن أن نجيب عينه منكِ أنتِ.

غشيتني آلام حادة، وشعرت بحريق نشب في ملابسي، فوقفت متأهبة للهروب، ولكنها أوقفتني، أمسكت كتفي، وقالت:

- ودخلتِ دماغي أنا أيضًا.

احتوتني بعينيها ورفعت أصابعها إلى وجهي لتتحسسه، فدفعت يدها في عنف، وطرقت بكعب حذائي البلاط، وانفجرت في وجهها:

- **العنوان خطأ يا مدام.**

وأسرعت نحو الباب، وصوتها يطاردني:

- **أنتِ في المصيدة، نجيب لن يدعك تفلتين من يده.**

** **

الفصل الثاني عشر

الرائد

حلمي الحسيني

يستفذني اتهامه الصامت، يثير أعصابي، وهو يشملني بعينيه العميقتين فيبدوان كسرداب موحش، يدفعني –برفق– للسقوط فيه، وهو يشهر في وجهي سكاكين شكوكه الحادة، أتجاهلها فيحاصرني بها كطوق حديدي، خبأت ما قالته عفاف في مخطوطي، حتى محاولة البواب القذر، وما حدث لي في ليلة سوداء، خبأت –ما اعتبرته– أسراري الخاصة في بئر اللاوعي، في زوايا كهف روحي الغائمة، حتى بعد ما استرددت كل وعيي، وزعمت بأن أسراري ليس لها علاقة بالجريمة البشعة، رغم شكوكي بأنها —حتمًا– قد تقود إلى دليل يكشف عن المجرم اللعين، وربما كانت حيلة —لا شعورية– مني ليفك حصاره، ويخفف قبضته، عندما يدرك بأن لا فائدة مني.

كان مستغرقًا في قراءة الملف، وبمجرد دخولي، أشار لي بالجلوس، وقال أسفًا:

- نجيب عباس مسافر، والبحث جاري عن مدام عفاف، ولؤلؤة فى غيبوبة، والعناوين طبعًا مضروبة.

تفحصته بنظرة سريعة، بدا مستسلمًا، فاقدًا للحيلة، تبددت من عينيه نظرة الشك، فكانت لحظتي حاسمة، وفرصة سانحة لدفعه نحو سردابي –أنا– العميق الموحش، سألته:

- **والعمل؟!**

نبدأ الحكاية، نقطة ومن أول السطر.

عقص أصابعه، وأبدى حيرته وهو يسألني:

- **ما هدفك من عمل منصة، ومدونة للكتابة عن هذه الحالات المنحرفة؟**
- **هدف واضح، دراسة عن واقع خفي، لرصد وتحليل كل خبايا وأسرار تاريخ الانحراف، والفساد.**

تأمل صورة لؤلؤة على الشاشة، وقال متفكرًا:

- **جاءت من السويس إلى القاهرة، بدون أهل فامتهنت الدعارة.**
- **انحراف الجسد هو أخر مرحلة، يسبقه انحراف عقل وثقافة وسلوك. وهذا ينطبق على أي مجتمع بشري.**
- **أكيد.**
- **الفقر ليس مبررًا للانحراف، يوجد أغنياء، وأثرياء أكثر انحرافًا.**

وصل رنين الهاتف:

- **خير يا عادل؟**

انتبهت ملامحه، وقال أمرًا:

- أقتحم المكان فورًا، وبلغني أولًا بأول.

أغلق الهاتف، وقال:

- توصلنا لعنوان نانا.

غمغمت:

- نادية!

- في المنصورة.

غمغمت، وكأنني أسترد أنفاسي:

- الحمد لله.

بدا على وجهه تساؤل مريب، فقلت:

- كنت أخشى أن تكون هي.

تبسمت ملامحه، وقال:

- واضح أنك تعزيها.

بنت ذكية.. مثقفة.. عندها طموح ولها هدف، وعنيدة ترفض الاستسلام لأي ظروف.

لمس الشاشة، وغمغم وهو يشير إلى صورة نانسي محرم:

- لحين حضور ست نانا، تحكِ لي حكاية نانسي محرم.

** **

الفصل الثالث عشر

نجية

نانسي محرم

كثيرًا ما تندب حظها في الحياة التي حرمتها من كل شيء، أمها التي ماتت في السجن، وأبوها الذي لم تره، وزوجها الذي أنتحر، رغم إحساسها – المرضي– بالحرمان، كانت تتعلق بوهم، يومًا ما، سأكون مطربة كبيرة، تجلس قبالتي في التراس، وتقول:

- نفسي، ومنى عيني يا دكتورة أغني، وأرقص وأعمل كلبات، صوتي أحلى من صوت ميادة الحناوي، تعرفي أنا بحب أنغام، ولا أليسا.. خرافة. تطرق بكفيها على المائدة وتغني.

ما أقدرشي أحب غيرك

ولا أقدر أحب تاني

وأحاول انسى ليلة

ما أقدرشي أنساك ثواني.

كان صوتها مشحونًا بحزن حد البكاء، وبالفعل كانت تبكي، فأربت على كتفها في حنان، وهي ترجوني أن أكتب قصتها، لتمثلها في فيلم:

- أنا أغني وأرقص، ولا نانسي عجرم.

- أحاول.

تتعلق بالأمل، وتواصل رجائها:

- قصة حياتي بقى، من الواقع "الوائع"

ثم يكتنفها الحزن وهي تقول:

- وأنا بنت خمس سنوات، أخذتني أمي مسجد قريب لشيخ شاب له لحية خفيفة، وصوت عذب، لم أسمع في حياتي صوتًا مثله، قالت له.. حفظها القرآن ولك ثواب كبير عند ربنا، بنتي يتيمة، حفظت جزء عامة، ونصف تبارك.

عندما كانت تنتابها نوبات اكتئاب، يعقبها بكاء بصوت طفلة، ترى في نومها كوابيس.. رجال على هيئة وحوش تطاردها ويقبضون عليها، يتناوبون اغتصابها، اعتبرتها نموذج مثالي، تمثل حالات كثيرة ممن أمتهن الدعارة، على مر التاريخ.

تهمس لي:

- ساعات أقول لنفسي، وأنا نائمة في الحلم أنا مت، وزبانية جهنم يعذبوني، كل خوفي يا دكتورة؛ أموت وأنا على هذا الحال.

ترفع كفيها وتدعو:

- يا رب أرحمني.

وتستدرك وهي تتلفت:

- **قبل ما بسه يأت بي لهذه "الأربخانة" ويعرفني بالست –لؤلؤة– كنت أقف وسط البلد –المدينة الظالم أهلها– ارتدي بنطلون "محزق ملزق" على الموضة، وبلوزة حمراء شفتشي مفتوحة الصدر، أشعل سيجارة LM، وأنتظر حتى تتوقف سيارة تناسب الـ LM، أقفز فيها.**

.....

قبل خمسة أعوام ألتقت ببسة البواب، فوجئت به يُقذف من أتوبيس نقل عام عند قدميها، عندما تحرش بطفل، فأنهال عليه الوالد، وساعده الركاب، وأوسعوه ضربًا وألقوه به على الرصيف، سقط أمامها مهشمًا، ساعدته على الوقوف، وطلب منها بصوت متهدج:

- **ساعديني ينوبك ثواب، العنوان قريب من هنا.**

خمس دقائق، نظرات وكلمات أفصحت عن رغبة متبادلة، أقسم لها "وديني، والختمة الشريفة" لم أتحرش بالولد، فشملته بنظرة، وقالت:

- **شكلك متحرش، قلت لي ما اسمك؟**
- **بدوي بسة.**
- **تتحرش بعيل يابسة؟! يخرب بيت أهلك.**

ضحك مثل غراب ينعق، وقال:

- **بيت المؤمنين عمار.**

دفعته في كتفه المصاب، فصرخ كأنثى:

- آي أي..
- عمار قوي!

وصلا إلى العنوان، وقال لها وهو يشمل سلسلة ذهبية بين نهديها البارزين بنظرة نخاس:

- بدل الواقفة في الشارع، أنا أضمن لك شغل هنا، بشرط لي عمولة على كل زبون.

أغلقت طوقها، ومطت شفتيها، وربتت على صدره فتأوه بصوت مخنس، وقالت:

- نجرب، والحياة تجارب.

أحيانًا كان ينتابها نوع شاذ من الكآبة تغلق غرفتها لأيام، تنام لساعات، وعندما تصحو تنظر للجميع باشمئزاز، وتتطاول على من تجده، تفتح الغرف المغلقة على الزبائن المتلبسين بالفعل المشين، وتنهال عليهم بالسباب فاحش، طردتها لؤلؤة عدة مرات، ولكنها تعود بعد أيام لتقبل قدميها، وتقول لها:

- أنا ابنتك المجنونة.

.....

قالت لي:

- أمى حملت في الحرام، أبي الحقيقي تركني في بطن أمي، مات في الزلزال الكبير، كان نجار مسلح وقع من الدور الرابع، وهذا المحرم الذي أحمل اسمه في شهادة ميلادي، اسمه الحقيقي.. محروس المسطول، ههه يعني الشجرة ملعوب في جذورها منذ زمن.

أخرجت سيجارتها الفاخرة، أشعلتها ثم استدركت:

- محروس وافق يتجوز أمى بشرط تعطيه مصروف يشترى بيه منقوع الصرم الذي أدمنه.

نفست سحابة دخان، وقالت:

- لعلمك أمى لم تخطئ فى حياتها غير مرة واحدة، غلطة كانت سبب وجودي في هذه الدنيا الضائعة، ضاعت وضيعتني معها، وبعدها كرهت السيرة، وصنف الرجال كله.
- ماذا كانت تعمل؟

شهقت ووضعت ساقًا على ساق، وقالت:

- هاوس كيبر. هههه

واستعادت جدتها:

- خادمة عند دكتور غنى قوى؛ دكتور على حبيب؛ زوجته دكتورة علياء زيدان؛ هى مَنْ اختارت لي اسم نانسى، قالت أسم نجيبة بلدى قوى، دكتور علي له عزبه فى الفيوم، وفيللا فى التجمع، ومستشفى كبيرة، بنته سجا أجارك الله، كانت تغير منى موت لأني أحلى منها ..هشام ابنه

بقى كان عبيط لكن قلبه أصفى من اللبن الحليب هو الوحيد حبني بجد من كل الرجالة اللى قابلتهم.

** **

رن الهاتف فرفع حلمي السماعة، وتساءل في لهفة:

- **نعم يا نبيل، قبضتم على نادية؟**

تابعت ابتسامته وهي تتلاشى، ثم سأل غاضبًا:

- **قبضت على مَنْ؟!**
- .....
- **على أمها؟! يا حضرة الظابط أمها ليس لها علاقة.**
- .....
- **أخذت أقوالها، أيوه....**
- .....

احتواني بنظرة، وقال:

- **معلومة مهمة؟! خير.**
- .....
- **آه.. أبعت لي صورة من المحضر.**

أغلق الهاتف، وهو يشملني بعينيه، وقال بلهجة اتهام:

- **أنا ممكن أحبسك، بتهمة تضليل العدالة.**

قلت مستنكرة:

- **نعم!**
- **أخفيت معلومة مهمة.**

تردد صدا صراخ رأسي الحاد، خشيت من اقترابه من بئر أسراري، ولكنني كنت قد تأهبت لهذه الخطوة، حتمًا سيعرف أشياء أخفيها، جلس قبالتي، وسألني:

- **عندك فكرة أن نادية تركت الشقة، واشتغلت في مستشفى....**

أكملت:

- **أنا توسط لتعمل في مستشفى دكتور أسامة محمود، في حلمية الزيتون.**

صاح غاضبًا:

- **تركتني أبحث عن أي معلومة، أي دليل...**

ورفع صوته مناديًا:

- **أنت يا عسكري.**

دخل العسكري، ورفع يده بالتحية:

- **تمام يا فندم.**
- **بلغ الظابط النوبتجي يجهز القوة.**

وهو يرتدي الجاكت، ويضع مسدسه الميري في جرابه، قال مهددًا:

- **لو وجدناها، وكانت هي مَنْ ارتكبت الجريمة، سأعتبرك شريكة معها.**

وأستدرك بنفس اللهجة:

- **وإلا لماذا أخفيت هذه المعلومة المهمة؟**

قلت في هدوء:

- **كنت لا أريد أن أذكر سيرتها في هذه القضية، حتى لا تؤثر على مستقبلها، وليقيني من أنها مستحيل ترتكب هذه الجريمة.**

واستدركت:

- **يا رب تكون موجودة، لأن بعد ما تركت الشقة، قُطعت علاقتنا.**

علت وتيرة صوته، وهو يقول لي مهددًا:

- **طوال التحقيق وأنا أعاملك بكل هدوء، لم أتجاوز لا بكلمة، ولا بفعل.**

وقف أمامي، واستدرك:

- **رغم إحساسي الذي لا يكذب بأنكِ تخفين معلومات، وهذا يضعك في دائرة الاتهام.**

صرخت بصوت عال:

- **حضرة الظابط، لو تتهمني اتهام رسمي، قل لي لأحضر محامي.**

طرق الباب ودخل الملازم حسن:

- **تمام يا فندم.**
- **نعم يا حسن؟**
- **قبضنا على زيزي عبود.**
- **أفتح معها محضر، خذ أقوالها.**

وأشار نحوي، وقال:

- **تفضلي الآن، وبكرة نكمل.**

** **

الفصل الرابع عشر

زينات عبد المعبود

زيزي عبود

زيزي تغيب بالأسابيع، وربما بالشهور، قبل أن تظهر، تقول.. أنا بنت أصول، بيني وبينكم عشرة لا تهون إلا على أولاد الحرام، عندما قدمتني لها لؤلؤة في أولى زياراتي، شملتني بنظرة جامدة، وقالت:

- أنا قرأت ما نشر لك.

توسمت خيرًا، ولكنها استدركت:

قالت ساخرة:

- فكرك ممكن تغيري حاجة بكلامك؟!
- تكفيني المحاولة.
- تضيعي وقتك فيما لا يفيد، ومع ذلك ممكن يكون فيه فرصة أحك لكِ.

اليوم دخلت في وقت متأخر، فوجدَّتها الفرصة المنتظرة للحديث معها، جلست قبالتها وقلت مبتسمة:

- ممكن أضيع معك وقتي، وأخذ منكِ كلمتين؟

رفعت الباروكة، وألقتها على الكرسي، وقالت:

- عشر كلمات، رغم أني فاصلة شحن، لكن تعودت على النوم في الصباح.
- سمعت أنك كنت متزوجة.

رمقتني بعينيها البنتين، وقالت:

- ولم تسمعي أني دخلته مستشفى المجانين؟

وأخرجت علبة عصير، غرست فيها الأنبوب، وهي تكمل:

- ثم تم الطلاق.

وتنهدت في حسرة، وقالت:

- أنا لم أقدر على العيشة معه وهو عاقل، كيف أعاشره وهو مجنون!
- عرفت أنكِ من نزلة السمان.
- أصلًا من البدرشين، بعد الزواج سكنت مع رجب زوجي في نزلة السمان، لم أكمل جامعة، تزوجت وقعدت في البيت.

أعددت الريكوردر للتسجيل، وقلت لها:

- أحكِ لي.
- تأخر الحمل سنتين، كان نفسي قوي في طفل، ورجب يتمنى، لكن...

.....

زوجها رجب السعيد موظف في الضرائب، مرتبه معقول لكن الطمع، لعب في رأسه، ودخل سكة التنقيب عن الآثار، ظن أن مفتاح أحلام الغنى الفاحش

بيد الملعون صاحب السوء "مجدي القذعة" كل مرتبة ضاع في رمال الأحلام المستحيلة، صرفه على الدجل والشعوذة، يبحث عن منقوع الحنتيت، وعصعوص عرف ديك شركسي، وبودرة عين العفريت، ودم الغزال.

قالت له راجية –ولكن بعد فوات الأوان–:

- يا رجب شغل الآثار يخص ناس ثقيلة، واصلة.

لكن الأحلام كانت قد سيطرت على عقله، في ليلة ذهب إلى مقهى، في شارع جانبي؛ وراء عمارات "أبو الفتوح" شاهد مبهورًا على موبايل صديق السوء عتبة من الجرانيت، عليها نقوش وطلاسم فرعونية.

قال القذعة في ثقة وفخر:

- دكتور آثار فك لغزها، وقال أنها بوابة معبد فرعوني، لم يمس منه حجر منذ أكثر ثلاثة آلاف سنة، تعرف يا رجب الدكتور قدره بكم؟! خمسة مليار.

أتسعت عينا رجب، وأطل منهما بريق لامع، وقال:

- خمسة على خمسة، واحد.. يعني ممكن يبقى ملكي مليار؟!

نفخ القذعة دخان الشيشة، وقال:

- دولار، يعني كم بالمصري، عد أنت بقى!

قال سعيد متعجلًا وهو يتلفت عبر الشارع:

- الشيخ تأخر.

- أصبر.

دقائق وتوقفت سيارة سوداء فاخرة، أشار سائقها لهما، فهرعا إليه، بإشارة ثانية ركبا إلى جوار الشيخ مغربي، تفحصهما بنظرة، ومد يده للقذعة، وقال:

- فرجني.

تناول الموبايل، تأمل عتبة الجرانيت، وأومأ برأسه، وغمغم:

- الحارس مارد أسود جبار.

وردد متمتمًا كأنه يتحدث إلى المارد:

- لا... صعب.

ثم غمغم:

- نشوف؛ طيب.. طيب.

تبادل رجب والقذعة نظرة قلقة، وهما يتابعان المغربي، الذي يتمتم، ويغمغم.

سأله القذعة:

- خير يا مولانا؟!

أجاب بنظرة صامتة، ثم جال بعينيه عبر زجاج السيارة، وقال للسائق:

- خذ طريق كوبري غطاطي.

نظر السائق له عبر المرآة، فقال مغربي مؤكدًا:

- أيوه الباشا ينتظر في فيللا برقاش.

ربع ساعة، ودخلت السيارة من بوابة حديدية، عبرت سياج من الأشجار وتوقفت أمام بيت قديم عليه حراسة مشددة، قادهما حارس ضخم إلى

الداخل، سارا وراءه صاغرين، ثم تركهما ودلف إلى غرفة، أنتاب رجب الخوف، وارتفعت دقات قلبه، وتساءل:

- **ما الحكاية يا قذعة!**
- **أنتظر.**

انتظرا طويلًا حتى تسربت إليهما هواجس لعينة، غمغم رجب:

- **شيء يقلق.**
- **عندك حق.**

بعد ساعة فتح باب في حائط، وخرج منه رجل يرتدي بدلة فاخرة، رمقهما بنظرة وهو يشير بيده، فخرج إليه الشيخ، سأله وهو يمعن النظر فيهما:

- **مَنْ؟**

همس الغربيفي أذنه، فحملق بعينيه في وجه رجب، وخطا خطوتين نحوه، وقال:

- **أختارك يا عُبد.**

توقف قلب رجب عن النبض، وغاصت روحه وهو يتلفت برأسه المضطرب:

- **مَنْ.... أنا عُبد؟!**

أشار بأصبعه، فقال الشيخ:

- **الرصد، الحارس الفرعوني، لن يفتح المقبرة إلا بقربان.**

تفجرت رأس رجب السعيد، ونثرت أذناه دماءً ساخنة، لوثت ملابسه، وهو يحملق في وجه صديقه القذعة، حاول أن يصرخ فانحبس صوته للحظة، ثم قال له متهمًا وهو يتشبث به:

- سلمتني لهم يا قذعة؟!

قال القذعة للمغربي:

- لم يكن هذا اتفاقنا يا مولانا.

تجاهله الرجل ولم تطرف عينيه، وهو يقول لرجب:

- الجان شم رائحة دمك وأختارك لتذبح على العتبة، ولا راد لاختياره.

بال رجب على نفسه، وارتعشت فخذاه، وخرج من مؤخرته براز نتن، ارتعشت فكاه وهو يبكي:

- لا.. خذوا حقي، لا أريد جنيهًا منكم، لكن تذبحوني لا أبوس رجلكم.

ركع على ركبتيه، وزحف على بطنه، تعلق بقدم الباشا، فصرخ:

- خذو القرف بعيد عني. الله يقرفك.

حملاه رجلان وخرجًا به وهو يصرخ:

- ألحقني يا صاحبي.. يا قذعة.. لا لا.... أه....

ابتعدوا به فتلاشى صوت صراخه، ووقف مجدي القذعة ينتظر مصيرًا أسوأ، والباشا يتهامس مع المغربي، ويشير إليه، كاد يبول، ويخرج ما في بطنه مثل صديقه التعيس، فتمتم:

- لا.. أنا دمي زفر.

أقترب منه المغربي، وربت على كتفه، وقال:

- ممكن حل أخر.

صاح مستنجدًا، وهو يتنفس بعمق:

- أي حل بعيد عن الذبح، أوافق عليه.

رفع الشيخ مغربي صوته مناديًا، فدخل الرجلان مع سعيد الغائب عن الوعي، فقال أمرًا:

- جهزوا الولد.

دخلت فتاة صغيرة ألقمت ثديها لطفل ولد للتو، نزعه وفك لفافته، وقال للقذعة وهو يناوله له عاريًا:

- تحمل الطفل، وشرط صاحبك يذبحه ويأخذ دمه قربانًا بدلا منه.

فتح سعيد عينيه، وقف على قدميه المرتعشتين، وقال:

- أذبحه.. هات السكينة.

ذبح الطفل، وسقط مغشيًا عليه.

.....

قالت زيزي، وهي تحشو سيجارة حشيش:

- وقع من طوله، لبسته العفاريت، أتلبس، دخت به أنحاء الجمهورية، أي عنوان على التليفزيون لمشايخ الأعمال العلوية، والسفلية، والسوداء، سافرت به من بلد لبلد، حتى الواحات، ولا فائدة.. أخيرًا دخلته مستشفى المجاذيب.

سألتها:

- **والقذعة؟**

سحبت نفس حشيش في تلذذ وقالت:

- **لف معي، وهو من أشار لي بإدخال رجب المستشفى، في ليلة خرجت معه، هنا بعد محطتين مترو، كان شغله يحصل الضرائب من الكازينوهات، وطبعًا كان مصاحب الراقصات، فجأة قالي.. جسمك حلو، وشكلك أحلى، اشتغلي راقصة، ما صدقت، واشتغلت، وبعد سنة رفعت قضية، وتم الطلاق من أول جلسة.**

.....

عندما طلبها القذعة للزواج، قالت له:

- **أوافق في حالة واحدة، مهري شوية ملايين أخضر من مليارك المدفون في عبك.**

أصدر ضحكة كضحكة بسة الملعون، وقال:

- **هههه ملياري؟! ولو كان معي مليار كنت عرفتك! أنا نفذت بروحي، بعد ما أعطوني خازوق.**

وشملها بنظرة، وأستدرك:

- **لو شوقك فيه.... أنا موافق.**

صرخت ضاحكة:

- **هههه وأنت تحتكم على خازوق يا قذعة؟!**

- **المية تكذب الغطاس.**

شهقت ساخرة وهي تشمله بعينيها:

- **سمعت عن الغراب؟!**
- **وشفته.**
- **قال كنت بأكل قشدة، قالوا له.. كان بان على منقارك.**

** **

فور دخول زيزي المكتب، قالت للظابط حسن:

- **أنا من ست شهور، وأنا قاطعة رجلي عن الشقة المشبوهة يا باشا.**
- **أهدأي يا زينات، سنأخذ أقوالك يمكن تساعدنا في حل القضية.**
- **أنا بحضر نفسي لتصوير فيلم سينما، ومضيت كونتراتو.**
- **مبروك.**
- **لن أقول كلمة إلا في حضور المحامي.**

طرق الباب، ودخل رجل يحمل حقيبة، قدم توكيلًا، وقال:

- **سيد أبو الفتوح المحامى، حاضر مع زيزي هانم.**
- **تفضل .**

** **

الفصل الخامس عشر

الدكتورة

علا الشرقاوي

نانا..

أنا يا حبيبتي بنت عادية، أحلامي عادية جدًا، أتمنى رجل يحبني، وأحبه، وأنجب أطفالًا، أولاد وبنات، أتفق معك تمامًا.. "أكون أو لا أكون" ولكن السؤال الحقيقي.. كيف أكون؟

أعدَّت كيك وشاي، وجلسنا في الصالون، مع تعدد اللقاءات بيننا توطدت علاقتنا، اعتبرتها صديقة ذكية، إنسانة تشع روحها بود حقيقي، يعيد لي اليقين بالجدوى من الحياة، وأمتلك القدرة على أن أبدد شوائب تجربتى المرة، وأخرجها من مضاعفات تجربة اغتصابها من زوج أمها، دون أن أشعرها بأنني ألعب معها لعبة أخاسر فيها –عن قصد– وتفوز فيها عن جدارة، لأكتب بها أول جملة في صفحة الثقة بيننا..

نانا سأمنحك حقًا –أصيل– لتغيري قناعاتك، الحياة مليئة بالأبالسة والشياطين، ولكن لا تخلو من القلوب العامرة بالخير.

.....

اضطجعت على الفوتيل، وقالت:

- **كنت في الثانوية العامة، تسحب مثل ثعبان إلى غرفتي، وأغلق الباب، تراجعت وقلت مهددة:**
- **عمي.. لو قربت خطوة واحدة أنا..**

حاصرني، فصرخت:

- **حرام يا عمي.. لا.. لا.**
- **ضمني إليه، فناديت:**
- **ماما..**

ألقى بي أرضًا، وقال:

- **أمك تأكل رز مع الملائكة، أعطتها منوم ولو البيت وقع لن تصحى إلا على أيد عزرائيل.**
- .....

سالت دموعها، وقلت بصوت مختنق:

- **أمي تجاهلت، رغم يقينها من الجريمة، ولكن كذبت روحها، خداع النفس حيلة العاجز عن مواجهة الحقائق المرة.**

كما أنكر أنا الكثير من الحقائق المرة، أنكر جريمة اغتصابي من حيوان قذر، وأقذف بها في بئر اللاوعي، حتى كدت أنساها، ومثلك يا نانا تواجهين القبح بالتمرد والانتقام من جمالك الرائق، تهينيه لأنه أوقعك في براثن زوج أمك الحقير، بعدها هان عليك كل شيء.

أستمع إليها وهي تواصل حكايتها، أزمّ شفتي وأركض بين صفحات تجاربي، لأبحث عن سبب أوقعني –مثلها– في شباك حيوان قذر، فلا أملك جمالًا مثل جمالها، وأزَّعم أنها أذكى مني.

سألتها:

- وكررها معك؟
- حاول، لكن كنت أغلق باب أودتي، صاحبت بنت أخته وبقيت أذاكر عندها، كنت كل ما افتكر العملة السوداء؛ أهرب منها للمذاكرة.

تحققت قناعتي، ولم تستطع أن تلوي عنق الحقيقة، وتقول.. أنها مريضة بالجنس، شبقة، شره لممارسته مع الحشرات، وليس هو سبب التفوق.

هممت بالانصراف فرافقتني حتى الباب، وقالت:

- ظهرت النتيجة، وحصلت على مجموع ٩٧%، وأنا طائرة من الفرح، قرب مني، حضنني وباسني، لم أدر بنفسي إلا وأنا أصفعه بكل قوة، وأصرخ في وجهه:
- يا ابن الكلب، لا تلمسني مرة أخرى.

وقفت عند الباب، أدرت الأكرة، وقلت لها:

- أعرف مستشفى خاص، فرصة تعملي فيها، أحسن، وأنظف من هنا.

تفكرت لبرهة، ثم قالت:

- أجرب.

ودعتها بابتسامة وخرجت، وأنا أقود سيارتي، لم تبرح صورتها خيالي، تراءت لي عبر مصابيح أعمدة الإنارة التي تركض على الكورنيش، وفجأة خرجت شوائب الجريمة الملعونة من سراديبها، كنت أشعر بساعدين يكبلاني، وحائط ضخم، ثقيل، يسقط فوقي، يقتلني، عبرت شارع القصر العيني، وصعدت إلى شقتي، ولم أغمض عيني، حتى لا انزلق في بئر معتم.

في الصباح، قلت لها عبر الهاتف:

- ممكن بعد المحاضرات تذهبين إلى مستشفى دكتور أسامة محمود.

** **

الفصل السادس عشر

نانا

نادية عبد العظيم

اقتحمت قوة البوليس المستشفى، اجتازت البهو الرخامي، حيث موسيقى هادئة، دكاترة وممرضات يسيرون عبر رواق زجاجي طويل، جال الرائد حلمي بعينيه باحثًا في شغف بين الوجوه، حتى خرج له دكتور أسامة محمود من مكتبه، وسأله:

- نعم، أي خدمة؟
- نادية عبد العظيم مختار.

جاء صوتها من كريدور:

- أنا نادية عبد العظيم، تحت أمرك.

شملها بنظرة، وأشار لها:

- تفضلي معي.

علَّت ملامحها الدهشة، وتساءلت:

- خيرًا؟

قال بلهجة ساخرة:

- خير جدًا، حاجة بسيطة.. أنت متهمة بجريمة قتل.

وأشار لمن حوله، وصاح أمرًا:

- خذها على البوكس.

قطعت صرخته وهي تبتعد بيدها:

- جريمة قتل؟!

أنقض عليها أمين شرطة، فقاومتها، وصرخت في وجه الظابط:

- مستحيل.. أكيد فيه خطأ، ولا يوجد معك أمر من النيابة بالقبض عليَّ في مقر عملي، وإهانتي بهذا الشكل.

قال حلمي في نفاذ صبر:

- هاتها يا أمين.

قبض عليها الأمين وطوق معصمها بالكلبش، وهي تردد متوعدة:

- ستدفعون ثمن هذه التعدي عليَّ.

ورفعت رأسها في كبرياء، خطت كملكة متوجة، تتحدى نظرات الشماتة التي تلاحقها، توقفت برهة قبل الخروج من الباب، وقالت للجميع في ثقة:

- سأكون في المستشفى غدًا.

وهي تعبر الشارع إلى البوكس، قالت لحلمي بلهجة ساخرة:

- ممكن أتصل بالمحامي؟

- حقك.

تحدثت في الموبايل:

- دكتور حشمت القللا، نادية مختار معك .....

- .....

- الله يخليك. مرسي قوي. حكاية سخيفة، أقلها لك، لكن ممكن تسبقني على مديرية الأمن.

.....

حسبتها في هذه اللحظة، مسلوبة العقل والإرادة، والحواس، وكان لها الحق في أن تصرخ في وجهي..

أرأيتِ يا دكتورة! الحياة مليئة بالأبالسة والشياطين فقط، أما القلوب الطيبة فهي وَهمّ الضعفاء، ولكنني لن أستسلم لأي شيطان أيا كان جنسه، جن، أو أنس حقير.

قبل وصولها إلى مديرية الأمن، سبقها الدكتور حشمت القللا، دكتور القانون الجنائي، دخلت المكتب فوجدته، وقف مرحبًا بها في حفاوة:

- أنسة نادية.

نظر إلى الكلبش، وقال لحلمي مستنكرًا:

- فك الكلبش يا سيادة الرائد.

استقرت نظرة الرائد حلمي على وجه الدكتور القَلّلا للحظة، وأشار لأمين الشرطة، وللحظة تسربت القسوة عبر تعابير وجهه، في حين جلست نادية في هدوء.

رفع محضر التحقيق، وفر صفحاته، وهو يقول:

- أنت متهمة بالتردد على الشقة، والتي أثبتت التحريات بأنها كانت وكرًا للبغاء.

مد القَلّلا يده وتناول المحضر، في حين شملت نادية حلمي بنظرة تحدي، وقالت:

- لم تقبض علي متلبسة، ولم تجرني عارية مع رجل ملفوفة في ملاءة!

أشار لها القَلّلا بيده في هدوء، وقال لحلمي:

- حضرتك قمت بالقبض عليها دون إذن النيابة..

دخل الملازم نبيل، وقدم إذن النيابة، فرفعه الرائد، وقال:

- إذن النيابة موجود.

قال الدكتور القَلّلا:

- سهل التأكد من أنه صدر بعد القبض على الدكتور نادية، وسأتجاوز عن هذه المخالفة، المهم أن ما قلته ليس أتهامًا يا سيادة الرائد، كما أنه غير قانوني.

قال حلمي، وقد علَّت وتيرة غضبة:

- أنا أتهمها بالقتل.

وقفت ولوحت بيدها في وجهه، وقالت مهددة:

- أتهام باطل.

أبتسم دكتور القَلّلا، وقال لها في هدوء:

- دكتورة نادية، أهدأي ولو سمحتِ أقعدي.

وقال لحلمي:

- **سيادة الرائد، نادية طالبة متميزة.. امتياز خمس سنوات، ورئيس الجامعة يكرمها كل سنة.**

بلهجة ساخرة لا تخلو من تلميح:

- **واضح أنكم معرفة قديمة.**

لوحت نادية برأسها –رافضة تلميحه– كاظمة غيظها، في حين واصل حشمت القَلّلا:

- **لحين الاضطلاع على ملف القضية، ولائحة الاتهام، أطالب بالإفراج عن موكلتي نادية عبد العظيم مختار، بضمان محل إقامتها.**

شملها الرائد حلمي بنظرة مخيفة، سرعان ما انطفأت حدتها أمام عينيها المتوعدة، وهي تخرج من مكتبه، رفعت رأسها في كبرياء، خطت كملكة متوجة، في لحظة تبددت ملامحه الهادئة، حتى قسوته المعتادة فقدت انضباطها، وواصلت أفكاره الطرق على رأسه في عنف، بحث في كل التفاصيل، وهو يشعر بمسؤوليته في هروب مجرم من العدالة، غمغم بصوت عال:

- **هذه المرأة خطر..**

فلم تكن جوليا أستينوف هي التي تم تدريبها على حيل التلاعب النفسي، والعبث بعقل الزبائن المنتقين، للوصول إلى نقطة الضعف بالإغواء الجنسي، بل هذه المرأة الداهية –نادية عبد العظيم مختار– التي لم تكن في حاجة إلى تدريب، بل اكتسبت خبرتها من الحياة، وردد في ثقة:

- **لم تكن القتيلة، حتمًا فهي القاتلة.**

.....

أستقر في مكتبه ساكننا، تناول كتابي، وشرع في قراءته، كانت تأخذه الكلمات إلى تضاعيف متداخلة من الأفكار، حيث استقرت حقيقة أن لبسة البواب دورًا في الجريمة، أو على الأقل سيجد عنده طرف الخيط، هو خبير بها، بهذه العيون الجافة، الميتة، والتي تطل منها إيحاءات مقرفة، وتصدر عنها رائحة آسنة، مستنقع من القذارة.

** **

الفصل السابع عشر

البواب

بدوي بسة

قالت دكتورة علا الشرقاوي في مخطوط مذكراتها؛ حارس العقار كائن طفيلي، لا يرى في الناس إلا جهاز تناسلي، ومتعة محرمة، يراقب العابرين بنظرة سادرة، يتفحص أجساد الرجال والنساء، يبحث عن فريسة يلقى بها في ماخوره العفن، سمعته يردد جملة أثيرة إلى نفسه.. "أحلى من الحرام ما فيش" احتقرته، وكدت أبصق عليه، وانتظرت فرصة لألقنه درسًا، كنت أعتبر هؤلاء فيروسات خبيثة، تكمن ساكنة –ربما لسنوات– أو تسيح بين الناس، تسير عرايا حتى يعتبرها بعض جهلاء المهوسين؛ أولياءً صالحين! يستمر كمونها حتى تجد عائلها فتنمو، وتزدهر.

.....

تسربت إلى وجه حلمي الحسيني وهو يستجوبه، قسوة منضبطة، عندما سأله عن نادية، قال:

- بنت مغرورة يا باشا، رغم أني فتحت لها باب رزق.
- رزق حرام!

لا يعلق بكلمة، يلوذ بصمت القبور، وينتحي جانبًا لا يحرك ساكنًا.

أشار له:

- أكمل؟
- لكن الحق يقال كانت في حالها.

ويشير بسبابته بدائرة حول وجهه، ويقول:

- وللأمانة لم أر وجهها ولو لمرة واحدة، ولا أعرف ملامحها إلا على هذه الشاشة.

وشمل صورتها، وقال بوجه مفعم برغبة جشعة:

- يا خبر أسود! لم أكن اعرف أنها حلوة قوي يا باشا.
- كيف فتحت لها باب رزق؟
- كان يوم خميس، والسهرة صباحي.....

.....

ألتقى بها بسة أمام فندق قبالة كازينو الليل، وانتبه شيء خفي في رأسه، عندما وجدها تخرج بنقابها الأسود وسط حشد من فتيات الليل يتضاحكن، راقبها عدة ليال، حتى وجدها مع زبونة قديمة يعرفها، فهرع إليها مرحبًا، دقائق، تبادلا نظرات، ثم أفصح عن رغبته في تقديم خدمة للشيخة ....

تساءل:

- اسم الكريمة؟

لم تجبه، رات أمامها فجأة زوج أمها الحقير فتقززت، كانت لا تزال في طور المعاناة، وهي تحاول النسيان، ودفع تجربتها في قرار مكين، لتنجو من

الإحساس بمعاناة الطريدة المغلوب على أمرها، حتى يتسنى لها الانتقام، راقبت بسة، وهو يواصل حديثه مع زبونته القديمة:

- **الست لولو حكمت لها المحكمة، وأخذت الشقة، والآن وتختار زبائنها على الفرازة، ممكن تجربي أنتِ، و.... ست الشيخة.**

وغمز بعينيه، وأردف:

- **على الأقل المكان يحصل له البركة.**
- **وحصل له البركة!**
- **بعد يومين شرفت.**

أشعل الرائد سيجارة، وأشار بيده ليكمل، فقال:

- **للأمانة يا باشا، قبل ما تقفل الست لولو الشقة بسنة أو أكثر؛ نانا كانت قطعت رجلها، ولم اعد أراها.**

أشار له فأنتحى جانبًا، هذا القواد يعرف الحقيقة، يقبض عليها ولن يدعها تخرج من جوفه بسهولة، تأمل عينيه الجافتين، وإيحاءات نظرتهما القذرة، مشحونة بالإغواء، لكنه لم يستسلم لإغوائهما المريض، ويخرج منه الحقيقة قسرًا، ولكنه لم يعتد على إهانة أي متهم، رغم يقينه من أنه مجرم، وبعضهم لم يبق من –حقيقة– إنسانيته سوى ملامح فقط، هيئة إنسان، وجوهره شيطان، ألقى بنظرة مخيفة رغم هدوئها نحو بسه الذي لا يحرك ساكنًا، أدرك بأن هذا القواد يستدرجه إلى مواجهة من نوع جديد يريد أن يطيح بهدوئه،

ليسقط عليه جام غضبة، يعرف هذه النفسية المشوهة، التي تتلذذ بالتعذيب، وانتهاك إنسانيتها، لن يعطه هذا الحق، لن يهبه متعة التعذيب الكريهة، بل سيدعه –الفيروس الخبيث– يلقي به حيث ماخوره القذر، وينتظر..

قال له:

- **سأفرج عنك بشرط.**

تهللت أساريره الملساء، وهتف:

- **أنا خدامك يا باشا.**
- **تبلغني بكل حاجة.**

قال بلهجة وقحة:

- **لو عصفورة عملتها على روحها أبلغ سعادتك.**

.....

** **

الفصل الثامن عشر

نجية

نانسي محرم

تنظر في عينيه الباسمتين في براءة، فيشملها الأمان، نجية التي ترى كل الرجال أبالسة أولاد شياطين، كانت أيامها مع زوجها هشام حلم لذيذ، والأحلام لا تدوم، عمرها قصير كالزهور، ويخترق قلبها هم ثقيل، وهي تضحك في مرارة..

هههه صعب يا دكتورة قلبي ولا قلب أمي يرتاح! والهمّ يروح لمَنْ؟!

ترفع سلسلتها المعلقة بين نهديها، وتفتح قلبًا ذهبي، تتأمل صورة هشام، ثم تغلقه في هدوء، وتتساءل غير مصدقة:

معقولة! فيه رجل بالطيبة دي؟!

.....

رأيت الصورة، كانت إمارات البلاهة البادية على ملامحه يغلفها طيبة، تعلق بها كطفل، يشملها بنظرة امتنان، وهي تلمس وجهه فيقبل كفها، وحده الذي كان يبث في قلبها الاطمئنان، وتشعر في وجوده بالراحة.

تحمل الطبق وتطعمه، في فمه:

- يا له هم.

يستمتع بدعاباتها، يضحك عاليًا كطفل فتضيق عينيه الصافيتين، ترمقهما شقيقته سجا؛ تشتعل غيرتها، فتسترق نانسي إليها نظرة، وترفع صوت ضحكاتها عاليًا، وتقول..

تعرف يا شوشو أنت أجمل واحد هنا.

تسمعها سجا فينفجر صوتها:

- أنتِ قليلة الأدب!

تتجاهلها..

كانت أقصر الشر، وأضغط على أعصابي، إلا أنه في يوم جُنت وصفعتني بدون سبب، قبضت على كفي، ولوحت به، وقبل أن أرد الصفعة، دفعها هشام فألقاها أرضا، خرجت أمها غاضبة:

وصرخت أبنتها، وقالت:

- هذه البنت لازم تمشي من هنا.

خرجت أمي ترجوها، وتقبل رأسها، فانهالت عليها صفعًا، ولم أشعر إلا وأنا أشتبك معها، أرد الصفعات بصفعات أقوى، شملتني حالة جنون، وأنا أصرخ.. إلا أمي إلا أمي، أمي حاولت فض الاشتباك، ضربتني على وجهي في قسوة، وعنف، ثم ضمتني إليها وهي تبكي، وتردد أسفة.. قطعتي عيشنا يا بنتي.

خرج الدكتور، وتساءل:

- ما الذي يحصل هنا؟!

فقالت زوجته:

- هذه البنت وأمها لازم يمشوا من هنا.

تساءل الرجل:

- ما الحكاية؟!

قالت بلهجة قاطعة:

- لن يقعدوا هنا يومًا واحدًا.

قال وهو يشملنا بعينيه:

- الأول أفهم الموضوع.

زعقت زوجته:

- خلاص يا علي، قلت الخدامة تمشي هي وأبنتها، خلص الكلام.

قالت أبنته، وهي تسوي شعرها، وتشير بسبابتها نحوي في قرف:

- الموضوع يا بابا أن البنت الشغالة عملت هشام لعبتها، تدخل معه أودته وتغلق الباب بالساعات.

كدت أقتلها، قفزت نحوها خطوة:

- كذب!

دفعتني أمي، وقالت:

- عيب يا ست سجا، نجية ابنتي مؤدبة.

كظمت دموعي وقلت:

- **ولو أنا .... كدا! هشام بيه متربي، أنا أعتبره أخي.. أقصد سيدي.**

واستدركت لأبيها متحدية:

- **وأنا مستعدة تأخذني المستشفى تكشف علي، وتتأكد أني بنت شريفة، لم يمسني أحد.**

وهزمتني دموعي، فاندفعت إلى المطبخ، وأنا أجمع ملابسي، وأدسها في الحقيبة، سمعت هشام يصرخ ويبكي ويردد كلمات تهديد:

- **نانسي .. شر... ريفة.. قو...ي. وربنا عارف.. وأذ أنا بحبها، لا تمشي لا.**

دخلت أمي تمسح دموعها، ربت على كتفها، وقلت لأهون عليها:

- **يا ماما ربنا لن ينسانا.**

قالت معاتبة في حسرة:

- **كنتِ تَحمليِّها يا بنتي.**

قلت غاضبة:

- **يعني تتهمني في شرفي، وأسكت؟!**

غمغمت:

- **خلاص، أمر ربنا يا بنتي.**

حملت الحقيبة، وخرجنا من المطبخ، كانت الدكتورة علياء تجلس قبالة زوجها يتهامسان، والتفتت نحونا، وقالت:

- **رجعوا حاجتكم، الدكتور شاف أنكم تقعدوا.**

تهلل وجه أمي، وأسرعت نحوهما، وقالت:

- **ربنا يخليكِ يا ست الدكتورة، أنتِ وسيدي الدكتور.**

حملقتِ في وجهي بنظرة، وقالت:

- **بس بشرط.**

قلت في سرعة:

- **أنا مستعدة أعتذر لست سجا، وأبوس يدها.**

غمغم الرجل:

- **لا داعي.**

قالت زوجته:

- **شرط أنكم تكونوا معنا، هشام يتزوج نانسي.**

أتسعت عيني، وتحسست مصيبة تسقط على رأسي، غمغمت:

- **أنا... هشام... بيه يتزوج، يتزوجني أنا!**

قالت المرأة بلهجة تهديد:

- **نعم.**
- **لكنه أهبـ..**

قبضت أمي على فمي، وقالت:

- موافقة يا ستي، موافقة يا ألف نهار أبيض.

وصدحت بزغرودة عالية..

قال الرجل:

- سأتصل وأجيب المأذون.

.....

سحبت أخر نفس، وأشعلت سيجارة أخرى، وقالت:

- فكرت أهرب من الفيللا، لكن أمي قالت:
- يا بنت أعقلي، زواجك سيفتح عليكِ ليلة القدر، لا أنا ولا أنتِ كنا نحلم بها! ولو ربنا رزقك بخلفة كل حاجة هنا ستكون ملكك، وترتاحي، وتريحيني من الهم.

نفخت دخان من فمها، وقالت:

- لم يخطر على تفكيري أن أتزوج من ولد عبيط، لكن تزوجته، وبعد أسبوع عسل، كنت أضرب نفسي مائة جزمة قديمة، لأني فكرت أني أهرب حتى لا أتزوجه.

ثم تنهدت بعمق وهي تشاهد صورته داخل قلبها الذهبي، وطبعتها على شاشة الموبايل:

- هشام رجل لو دورت عمري كله لن أجد مثله.

بعد أربعة أشهر، بدأت أشعر بشيء ينبت في بطني، همست لأمي فطارت من الفرح، توضأت وصلت العشاء، والسنة والشفع والوتر، وقيام الليل، وقالت لي: لازم تصلي يا نجية، وأدع ربنا يكمل لك على خير.

كبرت بطني في الشهر الرابع، وكأني خلاص ممكن أضع في أي وقت، وطبعًا، حماتي الصغيرة –سجا– لم تضع الفرصة، وقالت وأمي تجهز السفرة:

- **مستحيل بعد أربعة أشهر تبقى على وش ولادة، ألم أقل لكم أن الباب كان يغلق عليهما بالساعات؟!**

غمغمت وأنا في قمة الضعف:

- **منك لله.**

في نفس الليلة شب حريق في بطني، وحملني الدكتور في سيارته إلى المستشفى، تناوب عدد من الدكاترة الكشف عليَّ، ثم تحدثوا، ورطنوا بما لا أفهم، ثم خرجوا تباعًا، وجلس الدكتور علي قبالتي، وقال آسفًا:

- **للأسف الجنين مشوه، ولازم ينزل.**

.....

منذ اللحظة بدأت كوابيسها، كأنها في صحراء خاوية، تلفظ أنفاسها من الخوف والعطش، لكنها قبضت على أخر رمق من حلمها، ولم تستسلم، قالت متعلقة بالأمل:

- **لا يا دكتور، لن أضحي به.**

كانت تتمنى أن تنجب طفلًا، تضمه وتقبله، وتهبه روحها.

غمغم الرجل آسفًا:

- كل أمنيتي يكون لي حفيد يعوض الـ ... أسمعي يا بنتي وجود الجنين في بطنك فيه خطر عليكِ.

شملته بنظرة، وقالت:

- أموت، موافقة.. لكن لن أضحي بقطعة مني، ومن هشام.

مسح الرجل دموعها، فتعلقت بيده، وقبلتها:

- ربنا كبير ولن يحرمني.

ربت على كتفيها، وقال:

- للأسف الجنين وجوده في بطنك ممكن يعمل لك تسمم، لازم ينزل.

.....

دمعت عينيها، وقالت:

- الحياة لعبت معي لعبة لا أفهمها، أقول لنفسي.. لو كنت توفيت في العمليات كنت دخلت الجنة، لكن قلبي يرتاح؟!

تشعل السيجارة الخمسين، وتتمتم:

- أستغفر الله العظيم.

واستدركت:

- هشام أول ما عرف، وصرخ.. "أنتم قتلتم.. ابني" أتجنن نزل تكسير في الفيللا، الكراسي.. الأنتيكات، التحف، البراويز، ضرب كل من

يقف أمامه؛ وخرج الجنينة أخذ العربية وداس على الرابع، بعد نصف ساعة وصل تليفون لأبيه:

البقاء لله ابنكم هشام عمل حادثة وتوفى.

علا نحيبها كطفلة، فربت على كتفيها، وضممتها إلى صدري، شاركتها البكاء على حلمها الذي لم يكتمل، أجهضته ظروف قاسية، منذ هذا الحادث، استقرت في فضاء روحها أبالسة، ومسوخ بشر، تطاردها ويقبضون عليها، يتناوبون اغتصابها.

شملتني عاطفة شديدة نحوها.

كانت وسط دموعها..

- **ينهش الحنين صدري، أشتاق لهشام، لعينيه، لابتسامته، أزور قبره، وقبر أمي، وأقرأ لهما الفاتحة، وأقعد.. أنسى نفسي، أكلمه، احس أنه سامعني.**

غمغمتُ:

- **الله يرحمه.**

واصلت غناءها الخافت..

يا اللي مكتوب لي أحبك

بعد عمري كمان

وأنت مكتوب لك يا بختك

نعمة النسيان..

كانت تعيسة، تعاني، لا تشعر بالأمان، قلقة، متوترة، تندب حظها في الحياة التي حرمتها من كل شيء، ظللت إلى جوارها ليلة بطولها، كنت أخشى أن تعاودها الكآبة الشاذة، وتتطاول على الزبائن بالسباب فاحش، فتطرد، أو تقدم علاى الانتحار.

مع أول ضوء من صباح اليوم التالي، قالت وقد هدأت بعض الشيء:

- تركنا الشغل عند الدكتور علي، ورجعنا لزوج أمي، محروس المسطول.

وصفته بأن رأسه خرب، لا يصحو من السكر إلا ليصرخ.. يسب بألفاظ فاحشة، يخلع ملابسه ويقف شبه عارٍ وسط الشارع، يصرخ كالمجنون في وجوه الجيران.. العاهرة وابنتها يسرقون فلوسي، ويعكرون مزاجي، والمرأة ابنتها ليست أبنتي، هي أصلًا بنت حرام، وأنا سترت عليها، وكان جزائي يسرقون فلوسي.

تكرر التشهير بها، وسبها بأقذع الألفاظ، حتى فاض بها الكيل، قفزت الأبالسة أمام عينيها، وعقدت العزم على قتله، وقتل الشياطين جميعًا بطعنة واحدة، استلت سكينًا، ورشقتها في بطنه، ترنح في الهواء، وسقط غارقًا وسط

بركة من الدماء، وقبل وصوله المستشفى لفظ أنفاسه، تداولت القضية، وأصرت أمي على أنها القاتلة، حكم عليها، وبعد سنتين ماتت في السجن.

** **

الفصل التاسع عشر

الرائد

حلمي الحسيني

وأنا في الطريق إلى مكتبه، تواصلت مع نانا.

- حبيبتي طمئنيني.
- لا الموضوع بسيط، أنهيته في ون منت.
- .....

رنة صوتها حفرت في عقلي شكوكًا، تخيلتها بعينيها العميقتين، وهي تقول:

- دكتور حشمت القَلّلا حضر معي.
- مَنْ؟
- عميد كلية الحقوق، صاحبي قوي.
- .....!!

.....

واصلت كلماتها في ثقة، استعدت نظرتها –في أول لقاء معها– والتي لم تدم إلا برهة عابرة، استقرت كصورة ثابته.. خامرتني سخرية مفاجئة.. دكتور! وعميد كلية، ربما كان حشرة ممن عاشروها، أوقعت به في شباكها الحريرية – السامة– الآن برزت الحقيقة، وافتضح سرها.

قبل دخولي مكتب الرائد حلمي، دفعتُ بها –الحقيقة– نحو كهفي إلى جوار خيباتي وسقطاتي التي لم تبرحه.

قالت لي قبل دخولي:

- لو هذا الظابط عمل لكِ حاجة بلغيني، وأنا أتصرف.

دخلت المكتب، أستقبلني وقد تحولت نظرة الشك إلى اتهام صريح، ولكنها عاجزة عن المواجهة، كم بدد العجز جماله! أطفأ سحر عينيه السوداوين، حتى نظرته لم تعد مخيفة، عجز عن مواجهة كبار مجهولين، لا يعرفهم، ولا أعرفهم! ينشرون حمايتهم على نانا، وهذه الدكتورة –الرجل– التي تستهين بي، وتتحداني، تراجع توعده باتهامي بالمشاركة، أو التواطؤ في الجريمة.

شملته بعيني، وقلت:

- الحمد لله، كنت قلقة جدًا على نادية.

غمغم بسخرية:

- أنتما على تواصل؟!
- أضررت لأطمئن عليها.
- .....

المرأة الداهية التي لم تكن في حاجة إلى تدريب، بل اكتسبت خبرتها بالسليقة، موهبة فريدة صقلتها بتجارب حياة قاسية.

وأردف ساخرًا:

- نانا حية ترزق.

ههه "حية!" لدغتها والقبر.

القاتلة، أو حتمًا تعرف مَنْ القاتل، ومَنْ القتيلة.

تراجعت نظرة اتهامه..

كما تعرفين أنت.

سألني:

- وكلت محام؟

سألته مستنكرة:

- وهل أنا متهمة؟!

ردد وكأنه يهمس لنفسه:

- حتى الآن.. لا.

لمس الشاشة، فظهرت صورة عفاف عصام، تأملها بعينيه..

هذه المرأة –سيدة الأعمال– إن لم تكن في مكان ما، تقود سيارة دفع رباعي، هي أيضًا محصنة من مسئول كبير، أو لص ثري، أو تكون بين يد الخالق.

نظرت إلى عينيها التي ظننت أنها يكتنفها خوف، وقلق من مآل تخشاه، يا لخيباتي! الآن.. والآن فقط انتبهت إلى المعني الحقيقي لهذه النظرة –هذه المرة– قوية، واثقة.. متحدية.

تذكرت ما قالته ذات مساء في حزن إلى حد البكاء:

- **البدايات لا تنبئ أبدًا بمآل الإنسان، أنا.**

كانت بدايتها معي، بداية ضجيج الأفكار، والخوف من السقوط في فوهة جديدة تنتظرني، هذه المرة لم يتشبث وعييَّ بالحضور في حضرة الرائد الخائف، العاجز، وقفزت في رأسي الفكرة الملعونة، عن المافيا، والجاسوسية، الآن أصبحت قضية تخص كتابي، لم تكن جوليا أستينوف ، بل نانا، وربما عفاف، وربما...!

.....

فتح ملف القضية، ورفع ورقة منه، وقال:

- **تسجيل مكالمات عفاف عصام، قرأته عدة مرات، لفت نظري شيئًا مهم جدًا.**
- .....؟

تجاسرت نظرة اتهامه لي بعض الشيء، وسألني:

- كنتِ تعرفين أنها زوجة نجيب عباس، وأنه أهداها شقة في الزمالك، كما اهدى تاجر الخردة ست لولو شقة الهرم، التي حولتها إلى ماخور.

اتكأت على مقعدي، وقلت في ثقة:

- أنت لو كلفت نفسك يا سيادة الرائد وقرأت نسخة كتابي، كنت عرفت الكثير، وعرفت أني لا اخفي عليك شيئًا.

دار حول مكتبه، وجلس قبالتي، وقد استعادت لهجته شكًا، بل واتهامًا صريحًا، فجأة.. تبدد عجزه، وعادت له ثقته، التي حسبت أنها اهتزت، قال:

- قرأته.

رددت على ثقته بثقة أكبر، لأدفع شكه، واتهامه لي بعيدًا، وأومأت برأسي، وقلت:

- نعم تزوجا، وحصل بينهما خلاف، وتدخلت لحله.

سكت لبرهة، وسألني:

- ما طبيعة الخلاف؟

- ألم تقرأ؟!

- قرأت ولكن أريد أن أسمعك.

** **

الفصل العشرون

اليوم الثالث، الأربعاء ٢٨أبريل ٢٠٢١م

أنه في يوم الأربعاء الموافق ٢٨ إبريل ٢٠٢١

بحضور كلا من ...

.....

.....

العباسي

نجيب عباس

كلما راته تذكرت أنور فكري، رغم فارق التوقيت، والزمن، وفائض القيمة، كان مثله وديعًا، ناعم الوجه والنبرة، حتى نظرته التي يحتويها بها، لم تطمئنها، كانت تحول بينهما فكرتها الثابتة عن كل رجل يرتاد شقة مفروشة، تدار للمتعة، عليها أن تخشى منه، ومن قنابله الموقوتة العامر بها ملفه في الآداب، تشعر أحيانًا بأنها تورطت في فتحه –هذا الملف– تدرك أنها مراقبة، تتابعها جهات ما، تنتظر سقطة لها.

رن هاتفة وهو يستقل سيارته إلى مكتبه، قالت له:

- **أحتاج أتكلم معك في موضوع شخصي.**

ابتسمت ملامحه، ولكنها استدركت:

- لو تسمح...

قاطعها في لهفة:

- Sure ، أسمح جدًا.
- مشكلتك مع مدام عفاف.

حتمًا تقلصت ابتسامته، وبرقت عيناه، وغمغم:

- تقريبًا أنا حلت هذه المشكلة.

واستدرك:

- لكن لا مانع ممكن تشرفيني، اليوم، ممكن الساعة ٧ بعد الظهر، لأني بعد أسبوع مضطر أسافر ألمانيا.

أنفاسه الشريرة كانت تشعر بها تقترب منها، تقززت خوفًا، وهي تشعر بأنها تطأ حقل ألغامه، تندفع إليه مسلوبة الإرادة، عليَّها أن تنهي كتابها اللعين في أسرع وقت.

ضمتهما مائدة في كافيه قبالة مكتبه، وقال لها:

- قلت لك، مشكلتي مع عفاف انتهت.
- لكن.....

قاطعها:

- أرجوكِ يا دكتورة، أنا محتاج كل دقيقة معك لأضع الرتوش الأخيرة على الكتاب، ضروري مقدمة تاريخية عن أقدم مهنة في التاريخ، سأرسل لك لائحة التفتيش، و....

لم تكن نظرته ترسل رغبة خفية، كان فقط ينظر إلى عينيها، يسهب في شرحه، وهي تنصت إليه، حتى تساءلت في مرارة.. لماذا أنزلق إلى هذا المستنقع؟! بزنس مان ناجح، لا يهمه إلا عمله، ما الذي دفعه للزواج من سيدة مارست البغاء، وجاهزة لممارسة في أي وقت، ومع أي أحد، كلما حانت الفرصة.

واصل حديثه:

- كل ما ذكر في الروايات والأفلام عن هذه المهنة يظل الواقع أخطر، أكتبِ عن إبراهيم الغربي، أكبر قواد في التاريخ الحديث، والتي وصلت سلطته وسطوته، حتى سيطر بنفوذه على الطبقة الراقية، على باشاوات، وسياسيين كبار، أيام حكم الوفد؛ الحزب الليبرالي العتيد.

عاودها الشك، تفشى مثل جمرة خبيثة في قلبها، وهي تتمسك بصمودها، منذ بدايتها في حفر مسارات السقوط في بئر اللاوعي الأسود، تجربة حبها الأول لأستاذها الوسيم، الذي تزوج قريبة له، فكرهته حد الموت، واستشهاد

حبيبها الثاني على يد التكفيريين في سيناء، وأنور فكري ورغبته الخبيثة في مرافقتها.

انتبهت لصوته، وهو يسألها:

- **عفاف طلبت منك التدخل؟**
- **نعم.**
- **لم تقل لكِ أساس الخلاف.**
- **لم أسألها، لكن هى تحبك ومخلصة لك.**

تفحصها بنظرة:

- **رغم أن الإخلاص عملة غير متداولة في سوق بيزنس تجارة المتعة، عفاف تعدت حدودها مع ناس كبار، مهمين..**

وكأنها فتحت ملفه السري، وفرت صفحاته، حتمًا تم مساومته، وأصبح عضوًا صاغرًا في القطيع، تستخدمه السلطة لنشر ما تريد ترويجه من أفكار، وها هو يستكمل دوره، غمغمت وقد اعتراها قلق مفاجئ.. دوره، وتساءلت.. يستكمل دوره معي؟!

حاصرها الشك، استعرت جمرته الخبيثة في قلبها، ولكنها قبضت على قلقها، تمسكت رغم الحريق المستعر، وشملت المكان بنظرة، حيث رجل يجلس إلى مائدة قريبة، يشرب كأسه في هدوء، وثمة أخر على مسافة يتشاغل بحديث عبر الموبايل، أنها مراقبة، تتابعها جهات أمنية، تنتظر سقطة، وها هي حانت.

انتبهت لنجيب وهو يكمل:

- عفاف دخلت معي ديل (deal) لحسابي، صفقة مع رجل أعمال، برنس حقيقي، بجد رجل فوق السحاب.

أخرج سيجار، ثم قال وهو يشعله:

- عفاف طمعت، أنهت الصفقة، لكن بعد ما صورته معها فى أودة النوم فى مشهد بورنو ساخن، لتبتزه طبعًا.

حقير! وربما يكون بسة القواد أفضل منك، أزداد أوار جمرة الشك الخبيثة، فأرتجف قلبها، وقبضت عليه، تمسكت رغم الحريق، والعيون التي تلاحقها، لتدفعها نحو السقوط، وقفت لتهرب من حقل الألغام قبل أن ينفجر ويطيح بها، وقف هو الأخر، رافقها حتى الباب، مواصلًا حديثه:

- المجنونة طلبت مليون ونصف، وتسلمه شريط الفيديو.

تلاشت قدرتها على التحمل، تابع نظرتها له، كانت تشمله في قرف، بل كادت تغرس أظافرها في عنقه.

أستدرك:

- نحن فى سيرك يا دكتورة علا، ومَنْ يطمع في بطولة العرض ويكون نجمًا من نجوم الساحة لازم يبقى بهلوان يلعب على كل الأحبال، ويكسب جامد قوى من "الليغمة" الموجودة.

حقير! وربما يكون بسة القواد أفضل منك، أزداد أوار جمرة الشك الخبيثة، فأرتجف قلبها، وقبضت عليه، تمسكت رغم الحريق، والعيون التي تلاحقها، لتدفعها نحو السقوط.

وقفت لتهرب من حقل الألغام قبل أن ينفجر ويطيح بها، وقف هو الأخر، رافقها حتى الباب، مواصلًا حديثه:

- **المجنونة طلبت مليون ونصف، وتسلمه شريط الفيديو.**

رمقته بعينيها، أرادت أن تلقنه درسًا وتفقأ عينيه بكعب حذائها، ولكنها ترددت، وهي تلقي نظرة سريعة إلى الرجلين، قالت:

- **أنا تأخرت.**

خرج بصحبتها وهي تخطو نحو سيارتها، وقال:

- **هي الجانية على روحها، بغباء دخلت حقل ألغام، يعني عفاف انتهت.**

فتح لها باب سيارتها، ورن هاتفه..

- **ألوه.. الشحنة وصلت قرية البضائع؟**

- .....

- **أنا سأذهب لأفرج عنها بنفسى، وأوصلها المطبعة فى ٦ أكتوبر، مع السلامة ..**

عندما أغلق الهاتف كانت قد انطلقت بسيارتها..

حين أفلتت منه، شعرت بأنها على وشك السقوط، دخلت غرفتها واستلقت على سريرها، تقاوم برودة تقبض عليها، تدثرت بغطاء ثقيل،

واستقرت نظرتها أمام صورة لم تبرحها، توالت صفحات ملف نجيب عباس السري أمام عينيها، طأطأت رأسها، تحاشت لمس قنابله الموقوتة، وأيقنت بتورط حقيقي، وخضوعها للمراقبة من جهات ما، ولن تنتظر سقطة لها، بل أُعد لها سيناريو السقوط، بدأ منذ اللحظة، وحثيثًا يدفعها برفق نحو بئره العميق.. هذا هو دورك، مكانك وسط القطيع، نريد منك إتقانه، أكتبي عن تاريخ البغاء، ليكن أبطال المرحلة عاهرات، وقوادين.

** **

الفصل الواحد والعشرون

الدكتورة

علا الشرقاوي

قال لها الرائد حلمي، وهو يشير لمخطوط كتابها:

- **جبت لي وجبتِ لنفسك وجع القلب يا دكتورة، بدخولك في هذا الماخور.**

كانت لهجته الودودة تشجيعًا لها، فقالت:

- **أنا فى الأساس مهمومة بالمرأة، التي تتعرض لضغوط فى كل شيء، وعلى كل المستويات.**
- **والرجل أيضًا يتعرض لضغوط كبيرة جدًا.**

واصلت في حماس:

- **اعتبرت كتابى فرصة لأقترب من أعماق المرأة المنحرفة، أعرف همومها، لحظات السعادة الفرح، لحظات الحزن.**

شملها بنظرة شك، وقال:

- **أي بَستتيوت "prostitute" ذات طبيعة منحرفة.**
- **العلم أثبت أن الانحراف ليس له جينات، ممكن تكون جيناته في مجتمع يشكل بيئة حاضنة للانحراف، والفساد.**

- لكن توجد حالات انحراف ليس لها علاج، غير البتر.
- هذه نظرة، ويؤسفنى أنها اعتقاد راسخ في عقول الكثيرين.

ألتفت بعينيه إلى الشاشة، وقال:

- مرأتان لم يظهرا حتى الآن، مدام عفاف، ونجية محروس،

ثم ألقى نحوها نظرة سريعة، وأستدرك:

- والاحتمال الأكيد أن تكون أحدهما هي القتيلة، أو القاتلة.

تفحصت وجهه وهو يحصي كل الاحتمالات الممكنة، وكان عليها أن تسبقه بخطوة، وكلمات "البهلوان" نجيب عباس ترن في أذنيها..

"نحن في سيرك ومَنْ يطمع في بطولة العرض، ليكون نجمًا من نجوم الساحة، لازم يكون بهلوان يلعب على كل الأحبال، ويكسب جامد قوى من –الليغمة– الموجودة".

قال حلمي:

- أصدرت أمرًا بتفتيش شقة عفاف.

هبت ريح باردة، فقبض على جسدها صقيع قاس.

** **

نصف ساعة ووصلت سيارة البوليس إلى شارع أبي الفدا في الزمالك، توقفت بالقرب من فندق أم كلثوم، ودخل الرائد حلمي، والجنود إلى العمارة، أسرع الحارس إليهم:

- أي خدمة يا باشا؟

- شقة مدام عفاف عصام.

صعد الحارس الدرجات مسرعًا، وهو يقول:

- عفاف هانم، لم تحضر الشقة من أربع خمس شهور.

فتح الباب، وواصل حديثه:

- كنت سمعت أن نجيب بيه طلقها، وطردها من الشقة.

أشار حلمي للجنود بالانتشار في الشقة، وتفتيش الغرف، وخطا عبر الردهة الفسيحة، تأمل قطع الأثاث الثمينة، المقاعد والموائد، الأنتيكات والمرايات المصقولة الناعمة، أسترق النظرات إلى زينهم حارس العقار، ها هو بواب جديد، تأمله؛ وقد لفحت الريح تضاعيف أفكاره من جديد، ليستقر السؤال.. هل له دورًا في الجريمة؟!

سأل حارس العقار:

- قل لي يا زينهم، ألا تعرف عنوان سكنها الجديد؟

- لا يا باشا، من يوم ما مشيت، لا شفتها، ولا حتى اتصلت بيَّ.

- ولا عنوانها القديم؟

- هي قليلة الكلام، وفي حالها قوي.

- هات تليفونك.

دس الرجل يده في جيبه، وأخرج الموبايل:

- تفضل يا باشا.

فتح الموبايل، وتصفحه، ثم سأله:

- **متى أتصلت بك أخر مرة؟**
- **قبل ما تمشي بيوم، قالت لي.. يا زينهم سلم حساب الدليفري، واطلع لي، طلعت لها الأكل ونزلت.**

.....

مس الرائد بأصابعه سطح البار، تشمم رائحة الغبار العالق، يطارده خوفُ من كبار مجهولين، لا يعرفهم! ربما يراقبونه لحماية المجرم الكبير، تقاطعت مسارات غريبة في رأسه، لمعت في عقلة كشهب، أرتعد خوفًا مما قد يكشف من أسرار، لا يجب أن تكشف، يراد لها أن تموت.. وتدفن.

أنتبه على صوت الظابط حسن وهو يقدم له صندوقًا، وقال:

- **وجدنا هذه الأسطوانات وفلاشة في غرفة النوم.**
- **حرزها.**

وناوله موبايل الحارس:

- **وأطبع نسخة من كل معلومات هذا الموبايل.**

أعترض الحارس، وقال متوجسًا:

- **يا باشا هذه خصوصيات، يعني الجماعة وأولادي، ولا يصح أ..**

قاطعه الرائد:

- **لا تقلق يا زينهم، يومان وتعال خذه من المديرية، أو قسم قصر النيل.**

** **

الفصل الثاني والعشرون

مدام

عفاف عصام

راقبها عمر موظف أمن الفندق، صاحب الكرش الممتلئ، والعينين الجاحظتين ذات النظرة الكابية، وبعد شهر وجدها تخرج بصحبة نجيب عباس، هرع نحوها، فمنحته بقشيشًا، وانطلقت السيارة، وهي تعبر كوبري الجلاء، قال نجيب:

- أنتِ ضيعتِ وقتك، ووقتكِ بلا داعي.

ضحكت، وهي تقول:

- كنت أجهز دراسة جدوى.

تفحص وجهها في المرآة، وتساءل:

- والحب يحتاج دراسة جدوى؟!

ضمخت ضحكتها بأنوثة ثرية، وقالت:

- ههه واحدة خريجة جامعة أمريكية – دراسة أعمال– والحب في حالتنا يكون هو المشروع الذي يحتاج دراسة جدوى.

تجاوب مع ضحكتها، وسألها:

- أتعشم أن يكون المشروع ناجح.

- هذا يتوقف على الطرف الثاني... حضرتك.

توقف أمام فندق الماريوت، وقال لها:

- أعزمك على العشاء، وأسمع منكِ.

رص الجارسون الأطباق على المائدة وانصرف.

في غفلة منه كانت ترمق ملامح صيدها الجديد، تلتقطها كي تعيد صياغتها، ليكون على قدر جمالها، وأنوثتها الفريدة، لتبدأ بعرض إغراءها، قطعة.. قطعة، تستعيد كلمات عمر الحارس، وهو يشملها بعينيه الجاحظتين.. " نجيب عباس إمبراطور وسط البلد، يمتلك نصف شارع الفجالة، والجمهورية، وعمارة في الزمالك، أعطه بحساب، يشم فقط، لحد ما يدمن، فتملكيه.

وهي تكمل شروط لعبتها معه؛ لتستدرجه إلى شباكها، قال لها:

- أرجو أن تكون دراسة الجدوى اختصرت وقتًا ومجهود.

وشملها بنظرة، وهو يقطع قطعة البانية بالسكين، وقال:

- ما شروطك؟

لم تعقب إلا بابتسامه خافتة، فألتهم قطعة اللحم، وقال:

- ما المطلوب مني؟

- ولا أي حاجة.

مضغها بين فكيه، واستقر ساكنًا لبرهة، هو الذي يعتقد بتناسخ الأرواح، حتمًا كانت هذه المرأة أنثى ذات شأن في زمن سحيق، قبض عليها بين

جفنيه، وظن بأنها –دون أن تدري– تلقي بكروت لعبتها دفعة واحدة، هو الممتلئ بالذكاء، والغرور، وقدرته على الإطاحة بخصمه بضربة قاضية، أدرك بأنها تنصب طوقًا لحصاره، تخفي كرتها الرابح لتفاجئه به، فأراد أن يمنحها فرصة وحيدة، وأخيرة.

مال بجذعه نحوها، وسألها:

- جاهزة نكمل السهرة عندي؟

ضيق حصاره بذات نظرته الحريرية، التي لم تكن نظرة إغواء، ولا اشتهاء، حاصرها برفق كقطعة جواهر ثمينة، مس بها قطيفتها الملساء، لم تغب عنها حتمًا حقيقتها، هي نظرة لص، وكل اللصوص سواء.

تناولت منديلًا جففت جانبي شفتيها، أدركت حقيقته، وبأنه يضعها تحت الاختبار، كأي نخاس يطمئن على بضاعته قبل شرائها، وعرضها على زبائنه.

قالت:

- نكملها عندي في الأوتيل.

احتواها.. أنثى ربما كانت ملكة؛ ولا تزال ذات شأن منذ زمن سحيق، ربما كانت سلطانة! ملكة زوجة ملك! تحكم مملكتها من وراء ستار؟! حاول الغوص في عيونها السوداء، للوصول إلى حقيقة جمالها الفريد، تأمل بشرتها الحمراء القانية، حتمًا هي امرأة خطيرة، ما زلت تخفي بعض الكروت، فليكن إذن.

توقفت السيارة في الباركنج، فأسرع عمر الحارس، بفتح بابها، وأطل عليها بابتسامة، واتسعت عيناه الجاحظتين.. هل تكف ساعة واحدة!

صعدا إلى غرفتها، أعدت كل شيء لقضاء ليلة ساخنة.. ساحرة، انسابت موسيقى، تضوعت أنوار شموع، عبقت الهواء بعطر أنوثتها، في هذه الليلة تألق جسدها، مغموسًا بلفحة إثارة ساخنة، فعلت فيها كل ما يخطر على بال رجل، تملكته بنشوتها الأثرة.

غمغم لنفسه..

امرأة تخطت الأربعين، ولكنها في الفراش مجرمة!

في الصباح، أخرج حفنة دولارات، وهو يدسها في حقيبتها، قبضت على يده، وقالت:

- يكفني عقد زواج... عرفي.

أتسعت عيناه، وغمغم:

- أنتِ مجنونة!

تناولت الدولارات ووضعتها في جيبه، وقالت:

- الزواج، وإلا لا تطلبني مرة أخرى.

تأملته وهو يسحقها بين جفنيه، كانت تلاحقها نظرة أمها القديمة؛ المملؤة بالغيرة العميقة، توجست منه، وتوجس منها، كان يخشى من روح الملكة التي تتلبسها، عليَّه ألا يتعدى الأصول، كشفت كل كروت لعبته، ولكنه غمغم متحديًا:

- **أنا لا أقبل أي تهديد!**

أشاحت عنه، وقالت:

- **شرفت يا نجيب بيه.**

وهو يخطو إلى الباب، قالت في ثقة:

- **ستحتاجني.**

ألقى نظرة عالقة، فخطت نحوه، وقالت:

- **أنت جربت البضاعة بنفسك.**

وأشارت له:

- **مع السلامة.**

أومأ برأسه وخرج...

.....

** **

الفصل الثالث والعشرون

الدكتورة

علا الشرقاوي

أثناء نومها، كانت تستيقظ في زوايا كهفها العميق بقايا ليلة سوداء داكنة، قبل أن تسترد جزءً من وعيها، ظلت تتردد عبر أصقاع روحها هلوسات، وتثقب رأسها صرخات الفزع، كثيرًا ما تتحول في نومها إلى مسخ امرأة، قليلة الحيلة.. عاجزة.

في الصباح استيقظت على رنين الهاتف..

- نعم!
- ممكن نتقابل بعيدًا عن المكتب، والرسميات، لأني أحتاج أبتعد عن ضغط هذه القضية.

رغم الصداع الذي أصابها، قاومت كسلها؛ استقلت سيارتها، وذهبت للقائه، عندما جلست قبالته –استعادت ما كتبته بعد هذا اللقاء في كتابها– وصفته –حلمي الحسيني– بأنه شاب جميل، عيناه سوداوان معبرتان تضفي عليه مهابة، احتوته بنظراتها، كانت تبحث فيهما عن إنسان تأنس إليه، وتشعر بالاطمئنان في وجوده، بعيدًا عن الاسترخاء في عيادة الطبيب النفسي، وكشف صندوق أسرارها، رغم آلاف الأسئلة التي تفتح مسارات في الجريمة

لا تخطر على بال، ولا تجعلها تطمئن، والخوف من كشف أسرارها التي يجب ألا تكشف، وتريد لها أن تموت.. وتدفن.

جلست قبالته، وقد تسربت إلى ملامحه قسوة، فقبضت على صمودها، حتى لا تسقط في بئر اللاوعي الأسود.

قال لها:

- أحببت أن نأخذ راحتنا، وما سنقوله مجرد دردشة.

عندما تحدث، تردد معه صوت المتحدث العسكري –في أذنيها– وهو يذيع خبر استشهاد حبيبها الثاني، نثرت رماد أحلامها، وسألته:

- ما الجديد؟

تفحصها بعينيه، وغمغم في حيرة:

- قضية غريبة، أي معلومة جديدة تظهر تعقدها أكثر.

توجست وهي تتحسس فوهة سردابها المغلق، ينتابها منذ الأمس قلقُ وخوفُ من مآل لم تتحسب له، سألته:

- ظهر شيء مهم؟

أخرج الموبايل، تصفحه، وواصل الحديث:

- فتشنا شقة عفاف عصام، وجدنا سيديهات، عليها كم كليب –زبالة– بورنو طبعًا.

ناولها الموبايل:

- تفضلي، هذا واحدًا منهم.

تأملت الأسطوانة للحظات، تفحصتها، كنجمة حمراء سقطت على جرح كرامتها، فأضرمت فيها النار، فجأة ذاب ثلج برودتها، أطاحت باطمئنانها الكاذب، وبترتيب حياتها –الهش– الذي أسسته من جديد، قبضت على صمودها، حتى لا تسقط في بئر اللاوعي الأسود، بات شكها يقينًا، استعرت جمرته الخبيثة في قلبها، تداعت قدرتها في القبض على قلقها، وأستعر الحريق أكثر، شملت المكان بنظرة، هيئ لها بأن ثمة الرجل –نفسه– يجلس إلى مائدة قريبة، يشرب كأسه في هدوء، وعلى مسافة منه الرجل الثاني، يواصل حديثه عبر الموبايل، نعم هي مراقبة! كانت قد عزمت ألا تبوح بواقعة اغتصابها لأحد، ولهذا الرائد بالذات، ولكن الآن، ستكون الفضيحة على الملأ، سيذاع فيديو اغتصابها، وعليها أن تتكلم، كاد قلبها يتوقف، وهو يمس الشاشة، بدأ المشهد، أمعنت النظر؛ تتابعت لقطات لعازفين، هدأت دقات قلبها برفق، فلم تكن هي، أرتفع صوت موسيقى، وثمة امرأة ورجل يرقصان، تخلع ملابسها كراقصة أستربتيز، وحتى استوت بين ذراعيه عارية، مسد بشفتيه عنقها الحريري.. الناعم، فأشتعل صوت ضحكتها المضمخ باللذة، والمتعة، أرهفت عينيها حتى بدت التفاصيل، مع صرخات الغناء، وتوجعها، هي! عفاف عصام شوكت.. نعم هي! رنة صوتها الدسم، انتشرت الإضاءة، لتظهر صورة رجل عار! أمير، مالطي ملياردير، يمتلك مشروعات ضخمة عابرة للنجوم، يمتلك بشرًا، رجالًا ونساءً، يعد من أثرى أثرياء العالم، صفعتها الحقيقة، هل

... هو.. هو؟! تشير إليه وتلقي نظرة إلى حلمي، وكأنها ترى أشباح عبر خيالاتها وقد خرجت من سراديبها العميقة، تسأله:

- معقولة! هذا هو الأمير خالد العايش؟!

غامت نظرته، وأومأ برأسه أسفًا، وقال:

- خبراء في الإدارة أكدوا أنه فيديو حقيقي، غير مضروب، لا تركيب، ولا فوتوشوب؟

استعادت لقاءها مع نجيب عباس، وترددت كلماته الأخيرة.. عفاف دخلت معي ديل (deal) لحسابي، الغبية صورته معها فى أودة النوم فى مشهد بورنو ساخن لتبتزه.

غمغمت..

هذا هو الأمير ....؟!

هذا أحد الكبار المجهولين، الآن تعرفه، وأعرفه!

سألت:

- والعمل؟

- أي إشارة لهذا الفيديو في التحقيق، ستفتح نارًا لا ترحم.

كان ضعيفًا، واهنًا، جاء يستنجد بها، لتكون إلى جواره في مأزقه اللعين، قال أسفًا:

- عفاف لعبت بالنار فأحرقتها.

- والعمل يا سيادة الرائد؟!

- أرفع ملف القضية للقيادة، ولها التصرف تكيف القضية كما تريد، قبل تحويلها للنيابة.

أشعل سيجارة، ومال بوجهه نحوها، وقد تسربت إلى ملامحه القسوة من جديد، أطفأت سحر عينيه السوداوين، فقد تملكه العجز عن مواجهة كبار معلومين، الآن يعرفهم، وأنا أعرفهم! وتتشبث وعييَّ بحضور حضرة الرائد الخائف، العاجز، وقفزت في رأسي الفكرة الملعونة، عن المافيا، والجاسوسية، الآن أصبحت قضية تخص كتابي، لم تكن جوليا أستينوف، ولا نانا، بل قضية عفاف هانم عصام، التي قتلت وقطعت أوصالها بشكل بشع!

وهو يشملها بنظرة شك، قالت له:

- منذ البداية كنت أشك بأن عفاف قتلت.

زم شفتيه، ثم قال غاضبًا:

- ممكن أتهمك بالتستر على جريمة، وتضليل العدالة.

استعادت قدرًا من ثقتها، وقالت:

- لم يكن لدي دليل، ولو كنت اعرف القاتل وقلت لك، أن القاتل برنس مالطي ملياردير عابر للنجوم، وحسبت مع نفسي حسبتك، لو تكلمت كان كلامي فتح عليَّ نار لا ترحم؟!

طأطأ برأسه، ووصل رنين هاتفه:

- نعم؟!

جاء صوته المخنث:

- **العصفورة في العش يا باشا.**
- **مَنْ؟**
- .....
- .....

اغلق الهاتف، وقال:

- **نادية وزيزي ولولو ظهرن، وجوليا في روسيا، ونجية محروس، موجودة وهي الآن في ضيافة بسة البواب.**

رددت أسفة:

- **وعفاف .. الله يرحمها.**

** **

الفصل الرابع والعشرون

المدام

عفاف عصام

بعد أكثر من شهرين، تأملت صورته على سطح المرآة، وهو يخطوها، ليجلس إلى جوارها، أشار للبارمان فصب له كأسًا، تناوله وألتفت إليها، وقال:

- طوال الشهرين أفكر فيكِ.

رمقته بنظرة صامتة، فأستدرك:

- فور رجوعي القاهرة، كان يجب أن أقابلك.

تمتمت:

- خيرًا؟

- من الأفضل، كشف أوراقنا لبعض.

ضحكت وقالت:

- نجيب.. كل أوراقك مكشوفة عندي.

رشف من الكأس، وقال:

- ممكن نتزوج، ولكن بعد اختبار صغير.

رمقته بنظرة غاضبة، ووضعت الكأس الفارغ على زجاج البار فأصدر رنينًا، وقالت محذره:

- أنت مُصر تضيع وقتي!

وقالت للبارمان:

- موني أنا في الأودة، لو أحد سأل عنيَّ.

أومأ الرجل برأسه، وغمغم:

- أمرك يا ست هانم.

أسرعت نحو الأسانسير، فلحق بها نجيب، وقال معاتبًا:

- أهدأي يا عفاف هانم.

نظرت إلى أرقام الأدوار التي تتوالى هبوطًا، وقالت له:

- قلت لك.. ورقك مكشوف ليَّ، ويوجد مثل هو بلدي صحيح، لكن يقرأ معك.. " بعد العيد ما يتفتلش كعك".

سوى خصلات شعره الأبيض، وبدرت عنه ابتسامة، توقف الأسانسير، وفتح الباب، فقالت له وهي تدخل:

- أنت اختبرت البضاعة، وعملت معك أحلى كدوه، وبعد الاختبار الصغير، ستقول لي.. أمك في العش ولا طارت.

ضغط على الزر فأغلق الباب، وسألها:

- بالمناسبة ما أخبار مامتك؟

رشقته بنظرة، وسألته:

- ما المناسبة؟!

- عصام بيه باباكِ، عملت معه كام ديل "Deal".

شملته بعينيها، عندما أستدرك بلهجة مغايرة:

- ... لم يكن يستحق ما حدث له، وتألمت لوفاته في السجن كثيرًا.

فقد أفصحت لهجته عن تهديد ما، تجاوزتها، وغمغمت وهي تخرج من الأسانسير:

- الله يرحمه.

سارا عبر الكريدور نحو غرفتها، وقالت:

- ولا أعرف عنها حاجة، قطعت علاقتي بها منذ سنوات.

توقفت عند الباب، وقالت:

- نتزوج زواج شرعي.

كاد يُصعق، وهتف:

- أنتِ طماعة قوي!

فتحت الباب ودخلت، فلحق بها، وواصلت حديثها:

- خائف أو متردد أن زواجك مني يعمل لك شبهة، أو ممكن يؤثر على شغلك، يبقى الأفضل كل منا يروح لحال سبيله.

جلس على فوتيل، وقال:

- حكاية الزواج منك أو من غيرك، مشروع خسران، ممكن أشتغل بزنس معك أو مع غيرك بدون زواج.

بدأت في خلع الحلي وقطع الإكسسوار، ثم حذائها، وهي تقول:

- **هو عقد شراكة، في صورة عقد زواج، وأنت تحتاجني في بزنس، وأي مشروع فيه نسبة مخاطرة، ولك توافق أو لا.**

حزم تردده، وقال:

- **موافق لك...**

قاطعته:

- **أتصل بالمأذون، وسنتكلم في كل شيء، مثلًا نسبة عمولتي في كل عملية حسب المخاطر، وحجم الزبون .**

أومأ برأسه موافقًا.

.....

لثلاث سنوات جابت العالم شرقًا وغربًا، اكتشفت أن لنجيب عباس شبكة دولية، ووكلاء في عواصم أوروبا، يستوردون له نساء من كل الأجناس، مافيا للإتجار بالبشر، بالأعضاء، وبكل شيء.

.....

كانت أول مرة تزورها في شقة الزمالك، جلستا في بالكون يطل على شارع "أبو الفدا" وقالت لها:

- **نجيب واضح أنه عاوز يغير.**

واحتوت الدكتورة بنظرة متقززة، وقالت:

- زوقه أصبح في الحضيض، لدرجة أن يعجب بكِ.

رأت أنها فرصة رائعة للانتقام، لإطفاء نار غيظها منها، ومن كل الساقطات التعيسات، ابتسمت رغم غيظها، وسألتها ساخرة:

- بضاعتك لم يعد له زبائن؟!

قالت غاضبة:

- هو زوقه أصبح زبالة.

وشملتها بنظرة حاقده، وواصلت:

- معجب بكِ أنتِ يا دكتورة!

تضخم الغيظ في قلبها، أسقطتها السخرية من السماء إلى أرض عميقة، حملقت في وجهها، كان الغضب قد أظهر تجاعيده فأمسى قبيحًا، مربدًا، بصقت عليَّه، كما ينبغي لها أن تبصق على وجه كل امرأة ساقطة، واندفعت إلى الهول، ولكنها وجدت كلب ضخم عند الباب، يتطلع إليها بعينين سوداوين، وقفت خائفة ساكنة، وهي تلتفت نحو البلكون لمحت حارس خاص متأهبًا لتلقي أمرًا، ووصل صوت عفاف:

- لم أخلص كلامي يا دكتورة، تعالِ.

عادت إليها، وقالت غاضبة:

- لكن كلامي أنا خلص معك.

أشارت لها، فأطرقت للحظة، ثم جلست.

قالت عفاف:

- قلت لكِ نجيب معجب بك، وهو خبير، يعرف ماذا يريد، وكيف يصل إليه.
- هو جاهل، حقير، فاكر أن كل النساء مثلك، وكل الرجال قوادين مثله.

أشعلت عفاف سيجارة، وقالت:

- هو ذكي، ودون أن تدري حولك لطريدة، ونصب شباكه للإيقاع بك.

أشتعل رأسها، فقالت في عصبية:

- أنا أخطأت فعلا لمحاولتي حل الخلاف بينكما.

رفعت حاجبيها، وتساءلت:

- خلاف؟! لم يكن بيننًا أي خلاف.

أشتعل غيظها أكثر، وقالت

- الديل (deal)، وتصويرك مع البرنس فى أودة النوم فى مشهد بورنو ساخن لتبتزه؟!

ضحكت وهي تنفض رماد سيجارتها في مطفأة، وقالت:

- هههه كان هذا جزء من سيناريو نصب الشبكة لكِ.

سألتها وقد هدأ قدر من غيظها:

- والديل "deal"، كذبة؟!
- لا حقيقي، وصورت البرنس معي لأخذ حقي من أولاد الكلب.

واستدركت بلهجة ناصحة:

- وهذا درس لازم تتعلميه، قبل بداية الشغل، وأحفظِ كلامي جيدًا، في عملنا يكون البكاء على رأس الميت، لازم تضمني حقك ١٠٠% قبل الدخول في أي علاقة.

هل هي مراقبة من جهات ما؟! وأُعد لها سيناريو السقوط، ويدفع بها برفق نحو بئره العميق.

غمغمت راجية:

- يا الله، يا عفاف هانم، أنا غيرك، دماغي في مكان بعيد عن هذا الكلام، أنا لا تهمني ملايين الدنيا، أنا مستوره الحمد لله، أكل وأشرب وأنام، ولا ينقصني أي شيء.

ابتسمت، وقالت:

- امرأة تعدت الثلاثين، ولم يكن لها علاقة مع رجل، شيء لا يعقل!

غمغمت:

- أستغفر الله العظيم، لم اعمل أي علاقة من أي نوع، مع أي رجل بأي شكل، كشف العذرية سيكشف الحقيقة.

دخل السفرجي بالعصير، وضعه على المائدة وانصرف.

قالت علا وقد أحتدت لهجتها:

- كشف عذرية؟!

قدمت لها الكأس، وقالت:

- يا دكتورة أنا أصدقك، لكن نجيب دماغه جازمة قديمة.

وتناولت رشفة من كأسها، وقالت ناصحة:

- أنا أريد حمايتك منه.

واستقرت نظرتها على تجاعيد وجهها الطافحة، وهو ينضح بمعان مرعبة.. هذا هو دورك، مكانك وسط القطيع، نريد منك إتقانه، وأنا ما علي إلا أن أكتب عن تاريخ البغاء، ليكن هؤلاء أبطال المرحلة.

هامت بعينيها عبر الشارع، توالت صفحات ملف نجيب عباس السري، وها هي تقبض على قنابله الموقوتة، حتما تورطت، وسط عاهرات، وقوادين.

وضعت كأسها على المائدة، وهمت واقفة، وقالت في ثقة:

- أنا كفيلة بحماية نفسي.

أومأت عفاف برأسها أسفة، وقالت:

- لا يا دكتورة، هؤلاء لا يقف أمامهم أحد، شبكة عالمية واصلة.

أنتابها خوف، ومضت صورة الرجل الذي يشرب العصير في هدوء، والأخر الذي يتحدث في الموبايل، حتمًا ستلتقي الوجوه.

أعتصرها الخوف، فقالت:

- مستحيل أقوم بدورك!

- مع التدريب، سيكون كل شيء تمام.

كادت تصرخ:

- مستحيل يا عفاف، مستحيل.

رافقتها للخروج، وقالت:

- هذه مشكلتك، تصرفي.

وقف البودي جارد، فقالت لها وكأنها تودعها:

- علا لا مانع عندي أن تكوني ضرتي.

أشاحت عنها، وخطت خطوة واحدة نحو الباب، ولكنها توقفت فقد دخل نجيب، بصحبة حارسه:

- مساء الخير، أنا حظي من السماء.

انتابها قلق خفي، شعرت برعب يصلصل مثل ثعبان كوبرا ضخم في رأسها، قالت:

- نجيب لو سمحت، أنا غير جاهزة لأي نقاش.

أشار لعفاف فدخلت غرفتها، وقال لها:

- لن أعطلك أكثر من ربع ساعة.

وقال لحارسه:

- وأنت تكون مع الدكتورة.

أقترب مني، بنظرة حادة، تراجعت حتى كدت أسقط في سرداب أسود، وغمغمت بصوت مختنق:

- نجيب بيه! مَنْ... ما..!

جلس نجيب على فوتيل، وقال لحارسه في هدوء:

- شوف شغلك يا خميس.

انقض الرجل عليها، كبلها، فصرخت:

- **عفاف، عف.. نجيب.. حرام.**

قبض الرجل بكفه الغليظ على فمها، كتم أنفاسها، لحظات وغامت الرؤيا، شعرت بدور ألقى بها أرضًا، وأنقض عليها في نهم وحشى، أمسك بتلابيبها مثل ذئب جائع، دس خطمه بين ثدييها، قاومته في ضراوة رغم ضعفها.. حاولت دفعه وهو يجذبها نحوه بمخالب حادة، مزق ملابسها، صرخت وهي تتهاوى في بئر معتم أسود، تشبثت بأخر قطرة لها من حياة، نشبت أظافرها في عنقه، فكبلها بساعديه، شعرت بأسنانه وهو يغرسها بين ساقيها المرتكزتين على مضجع الفوتيل، ثم ....تلاشى الوجود، وغامت التفاصيل شيئًا فشيئًا، حتى تبددت تمامًا، وتناثرت أنفاس الوجود عبر دائرة معتمة.. باردة، ثم ألقيت أرضًا أفاقت من غيبوبتها على قارعة طريق، ضعيفة، واهنة، سترت جسدها بما تبقى لها من ملابس ممزقة، وحملها تاكس عابر ألقى بها أمام العمارة وفر هاربًا، الآن تستعيد تفاصيل غائمة، فقد يكون سائق التاكس أحد المراقبين لها، هل هو الرجل الذي يجلس دائمًا في هدوء يشرب العصير بجوار النافذة، أم الأخر الذي يتحدث في الموبايل؟ أم هو الجنون الذي حل بها!

.....

** **

الفصل الخامس والعشرون

المدام

عفاف عصام

رمقته وهي تعبث بشعر صدره العاري، وقالت:

- علا بنت مجنونة، وممكن تبلغ البوليس وتدخلني في سين وجيم.

غمغم:

- حسب قانون الاحتمالات، نسبة كبيرة ممن تتعرض للاغتصاب، لا يبلغن البوليس، خوفًا على سمعتهن، ولكن ممكن.

انتابها القلق، وسألته:

- والعمل إذا أبلغت؟!
- أنتِ عارفة جيش المحامين عندي جرابهم مليء بالحيل القانونية، ثم لو أبلغت البوليس، سيرفعون لها ذهب المعز، وسيفه.

مَسَّد على شعرها، وقال:

- أعدي لها برنامج تدريب سريع، بعدها ستكون معك على طائرة إيطاليا، تذاكر فرست كلاس، ضروري تبهريها.

لم تفقد الثقة يومًا في جمالها، وإغراءها الخاص الفريد، ولا ذكائها الذي يزيد من تألقها، ظلت ترمق ملامحه، نجيب بلغ الستين، ولكنه يحتفظ بصحته، وقوامه الشامخ، أعادت صياغته، فبات على قدر جمالها، وأنوثتها

الفريدة، وواصلت عرض إغراءها، قطعة، قطعة، حتى اكتملت شروط لعبتها؛ وسقط في حصار أنوثتها الدسمة، وأتخذها زوجة له فقط، إلا في مرات قليلة، عندما يطلبها زبون لا معقب لطلبه، كل ما كان ينغص عليها حالة الانتشاء والغرور، نظرة أمها القديمة، المملؤة بالغيرة الكريهة، وهي تحوم حولها كنحلة مشاكسة، ذاتها –النظرة– احتفظت بها في طيات ذاكرتها، لتقر بأن أمها وعشيقها غدرا بالأب المسكين، كان يحفزها ذكائها، على البحث عن هذا العشيق القاتل، لتقتله.

سألت زوجها وهي تستقر بين ذراعيه:

- **مَنْ السؤول الذي تحداه أبي فلفق له تهمة، وقتله في السجن؟**

أصدر ضحكة مختنقة، وغمغم:

- **هي لم تتزوج المسؤول.**

رفعت عينيها إلى وجهه، فقال:

- **تزوجت سكرتيره محجوب عبد الدايم"*".**

هتفت:

- **قرني؟!**

نهض وهو يضحك ساخرًا:

- **هه هو بعينه.**

وقف وتناول سرواله، وواصل كلامه لها:

- حبيبتي، أنتِ ذكية، هناك أشياء لا تسألي عنها، ولا تشغلي نفسك بها.

احتفظت بتهديداته المخبأة في تضاعيف كلامه، تفصح عنها ملامحه فترمقها خلسة، تُعَدد تجاعيد الستين التي تطل لحظة غضبة، والتي فشلت في محوها وهي تعيد صياغته، ليكون على قدر جمالها، وأنوثتها الفريدة، كل ما كان يهمها اكتمال شروط لعبتها؛ وحصاره، ولكنه الآن يخفي شيئًا عنها، ويكذب، الكذب له رائحة تزكم العين، تسللت نظرتها عبر تضاريس وجهه الذي ينضح بكذبة كبيرة، حتمًا ستصل إليها.

في ليلة الاغتصاب، حملت علا في سيارتها وهي بين الحياة والموت، وألقت بها في شارع ٧٠، بالقرب من مستشفى "أبو الريش" مع أذان الفجر؛ أخذت الطريق إلى شارع صلاح سالم، وعرجت يسارًا أسفل كوبري الفنجري، دقائق وتوقفت أمام عمارة عتيقة، نظرت نحو حارس الأمن النائم، وضغطت على السارينة عدة مرات، فأستيقظ الشاب، وأسرع إليها منزعجًا:

- تحت أمرك يا هانم؟
- مكتب عصام الدين شوكت للتوكيلات، في الدور الرابع.

نبش الشاب وهو يغالب نومه، وقال:

.....

"*" محجوب عبد الدايم أحد أبطال رواية القاهرة ٣٠ ، تأليف نجيب محفوظ، محجوب تزوج إحسان، ولكي يرتقي في الوظيفة، بشرط أن يخلي الشقة لأحد الوزراء الواصلين ليعاشر زوجته.

- **لا توجد أي مكاتب، الدور الرابع كله شقق مسكونة، ما عدا شقة صاحبتها تؤجرها لسياح عرب.**

فتحت حقيبتها، وأخرجت أموالًا، وهي تقول:

- **شقة شهيرة هانم أبو النور.**
- **نعم هي شهيرة هانم.**
- **ممكن تليفونها.**

غمغم مترددًا:

- **لكن يا هانم....**

أعطته الأموال، وقالت:

- **أنا أحتاج الشقة، وعمولتك محفظة.**
- **حاضر.**

.....

وهي تعد لسفر مفاجئ، أجرت أول اتصال بأمها، لم تصدق الأم التي تقضي شيخوختها مع شلتها في النادي، أن أبنتها الوحيدة بعد غياب خمس سنوات، تتصل بها..

- **عفاف، معقولة! حسبتك متِ.**
- **حية يا شهيرة هانم!**
- **أمك يا ناكرة خيري!**
- **هههه خيرك محفوظ.**
- **عرفتِ أخيرًا أن للكِ أم؟!**
- **أنا على سفر أول ما أرجع مصر، سأتصل بكِ ونتقابل.**
- .....
- .....

.....

** **

الفصل السادس والعشرون

العايقة

لؤلؤة السويسي

قالت لها عبر الهاتف:

- **البقية في حياتك يا دكتورة علا، لؤلؤة السويسي توفت اليوم.**

غمغمت في حزن:

- **لا إله إلا الله، الله يرحمها.**

حضرا جنازتها.

لم تتمالك نفسها من البكاء، لحظة حمل الجثة إلى التراب، كانت تفكر في مسار تجربة حياة لؤلؤة العبثية، عندما أطاحت بها عاصفة هوجاء، وهي لم تزل نبتة صغيرة، اقتلعتها من جذورها، وقذفت بها إلى مدينة بعيدة، لتجد نفسها على القاع في أرض قاسية، يطأها الجميع بلا رحمة، قبل أن تبلغ العشرين، ظهرت موهبتها في الرقص والغناء، ولكن موهبتها الأكبر كانت في جذب الباحثين عن المتعة، أواخر السبعينيات سافرت إلى لبنان والحرب الأهلية تلفظ أنفاسها، وصلت قصصها في الجنس والحب إلى الذروة، غنت، ورقصت، قبل أن يلتقطها قواد عفن، وعادت قبل الانخراط في جنون شارع المتنبي، حيث فتيات اخترن مهنة الدعارة طوعاً، وقسراً.

وها هي تنتهي مأساتها.

قالت علا لنادية وهي تخطو إلى سيارتها:

- **مأساة حياة لؤلؤة السويسي، قابلة لتكرار.**

قالت نادية:

- **هذه متلازمة للحياة.**

أخرجت نادية ريموت سيارتها الفاخرة من حقيبتها، وضغطت عليه، وهي تكمل كلماتها:

- **... الحياة النقية من أي شوائب، يوتوبيا ليس لها وجود على هذه الأرض.**

أزالت علا أثر الدموع عن رموشها، وابتسمت، وهي تسألها:

- **طمئنيني عليكِ أنتِ.**
- **الحمد لله، خلصت بتقدير جيد جدًا، وأنتظر جواب التعيين معيدة في الجامعة.**

ربتت على يديها في رفق، وقالت:

- **ممتازة يا دكتورة.**

فتحت باب سيارتها، وهي تقول:

- **لن أضيع وقتًا، أيام وأسجل الماجستير.**

سألتها:

- **وأخبار نصفك الحلو؟ أقصد لا تفكري في الزواج.**

تأهبت لركوب السيارة، وقالت:

- سأتصل بك لأعزمك قريبًا.

قبل أن تأخذ مكانها في السيارة، جاء صوت زيزي معاتبًا وهي تخطو نحوهما:

- يا نسوان واطية، لا تكلف واحدة نفسها بتليفون، تقولي لولو توفت، أعرف من مدير أعمالي.

ظهر رجل قصير، يحمل حقيبة، على عينيه نظارة حمراء رخيصة، ويخضب شعره بصبغة صفراء، أشارت إليه زيزي:

- مجدي القذعة.

ابتسم في نعومة، سألتها علا همسًا:

- فقط مدير أعمال؟!

مطت ضحكتها الرفيعة، وقالت:

- أطمئنوا.. كنت فاكراه قذعة، لقيته ميح.

عدل رابطة عنقه الزاهية، وقال:

- خدامك يا أبلتي.

ضربته زيزي على صدره، وقالت:

- مؤدب يا قذعة.

قطعت ضحكهن سارينة عربة البوليس، تبادلن نظرات مشوبة بقلق مباغت، وغمغمت زيزي:

- أستر يا رب.

توقفت السيارة قبالتهن، وهبط منها الرائد حلمي، وقال:

- شكر الله سعيكن.

أشار لعدد من الظباط والجنود بالانتشار بين المعزين، وألتفت نحوهن، وقال:

- توجد مفاجأة كبيرة في مكتبي، تفضلوا.

سألته علا:

- خير يا سيادة الرائد؟!

تجاهل سؤالها، وخلع نظارتها السوداء، وقال وهو يشير نحو رجال البوليس المنتشرين:

- البوليس يبحث عن أي أحد كان على علاقة بمدام لؤلؤة، وجاء للعزاء.

تبادلن النظرات، وسألته نادية:

- يا ترى ما المفاجأة؟

شملها بنظرة، وقال:

- كانت مفاجأة لي أنا، وستكون لكن.

رمق علا بنظرة خاصة، وأستدرك:

- اكتشفت أنه لا يوجد جريمة.

تبادلن النظرات، في حين رشقته علا بنظرة حادة، ووجهه ينضح بخوف خفيّ من الكبار المجهولين، وهم يشهرون في وجهه التهديد الحاسم، أخيرًا استقرت المسارات الغربية في رأسه، لمعت في عقلة بقعة حمراء كشهب، وقرر بأن يغلق الملف، ويقيد قضية القتل البشعة ضد مجهول، لعدم كفاية الأدلة، ويتوقف على الفور عن كشف الأسرار، التي يجب ألا تكشف، ويراد لها الموت.

سألته نادية:

- **قبضتم على القاتل؟**
- **للأسف.**

سألته زيزي:

- **يا ترى مَنْ القتيلة، التي قطعت، وحرقت؟!**
- **تفضلوا معي.**

أنطلق طابور السيارات إلى مديرية الأمن.

تقدمهم الرائد حلمي عبر كريدور فسيح إلى مكتبه، وهن يتبعنه رافعات رؤوسهن في تحدٍ، فور دخولهن المكتب كانت نانسي محرم، وعفاف عصام في تجلسن، تبادلن النظرات، وقال الرائد وهو يخطو نحو مكتبة:

- **أعضاء الشبكة جميعهن أحياء، يرزقن.**
- **مشرفين مكتبي، إلا....**

فتح الشاشة، وهو يقول:

- جوليا أستينوف..

استعرت جمرة الشك في قلب علا، هل هي جريمة عابرة للحدود؟! مافيا، وجاسوسية؟!

قال الرائد:

- ناديا ديمتري حققت حلمها وأصبحت أبنتها جوليا أستينوف راقصة روسيا الأولى.

تتابعت لقطات على الشاشة، وهو يشرح لهن:

- جوليا تزوجت مليونير غاز روسي، وله تأثير سياسي.

وعقب بلهجة خاصة:

- طبعًا ممنوع الاقتراب واللمس.

واصل فتح الملفات المصورة على الشاشة، وقال:

- وقناة روسيا اليوم نشرت خبرًا منذ يومين؛ عن حفل راقص كبير في مسرح البولشوي، بطلته جوليا أستينوف.

مس الشاشة فظهر مشهدًا من الحفل الراقص، صدحت الموسيقى، وانطلقت جوليا مثل عصفورة هائمة، فاردة أجنحتها الخضراء، مع عزف الأوركسترا وهي تذوب مع عزف ساحر لوتريات، تضرب الأرض بسن حذائها الصلب، تدور.. تنتشى، تواصل رقصتها هائمة، كنجمة عالقة في السماء.

أغلق الشاشة، وقال لهن:

- لم يمت أحد!

صاحت علا مستنكرة:

- **والجثة، الأشلاء المحترقة، وتحاليل وتقرير الطب الشرعي، كان وهم، لا وجود له!**

أخرج سيجارة وأشار لهن:

- **تفضلن.**

جلسن، وألقى لهن بعلبة سجائره، وقال:

- **جريمة قتل بشعة، لم يستدل البوليس على هوية القتيل، ولا على القاتل.**

رمقت علا عفاف بنظرة، وابتسمت، وهي تغمغم بصوت خافت:

- **القاتل معروف، ولكن لا يمكن الاقتراب منه.**

ابتسم الرائد، وقال:

- **استنتاج خطأ يا دكتورة علا، لأن أعضاء الشبكة أحياء، لم تمس واحدة منهن بسوء.**

وأستدرك:

- **لم يبق إلا احتمال وحيد.**

تناول مظروفًا من مكتبه، وأخرج ورقة منه، وقال:

- **ورقة تافهة كانت كفيلة بحل اللغز.**

تبادلن النظرات في شك، ثم خيم الصمت.

** **

الفصل السابع والعشرون

نجية

نانسي محرم

قبل أسبوعين من وفاة لؤلؤة السويسي.

توقف التاكس أمام مديرية الأمن، ورغم تأكيد بسة لها، بأن حضورها للشهادة سوف يبعد عنها أي شبهة، توجست نانسي شرًا، هي لا تطمئن إلى جنس الرجال، فهم سبب مأساتها، ولكنها لم تملك إلا الذهاب، فقد قُتِلت امرأة بائسة مثلها، والقاتل الذي يقتل ويحرق الجثة، حتمًا مريض، أو إرهابي يريد أن يطبق حدود الله على العاهرات، وإذا لم يقبض عليه، فسوف يقتل غيرها، ربما تكون هي القادمة.

فور دخولها المكتب، خائفة مرتعدة، أشار لها الرائد:

- **تعال يا نانسي.**

زحفت خطواتها في بطء نحو المكتب، وقالت:

- **والله يا باشا لا اعرف ولا أي حاجة، ولا.**
- **أهدأي يا نجية وأقعدي.**

جلست نجية:

- **ربنا يخليك يا باشا.**

والتفتت نحو بسه الواقف عند الباب، واستدركت:

- **بسة قال أن فيه واحدة قتلت في الشقة، هي مَنْ، ومَنْ قتلها، والله لا أعرف؟!**

ابتسم في مرارة، وقال:

- **فكري معي، مَنْ يكون، أو تكون؟**
- **قلت لك يا باشا لا أعرف أي حاجة، أنا جئت لأني خائفة يكون القاتل مريض، تعبان نفسيًا، ولا معقد من النسوان، ولا إرهابي ويقتل فينا، واحدة وراء الثانية...**

أشار للكاتب:

- **أفتح المحضر.**

أنه في يوم ..

الموافق..

انطلقت نانسي في الحديث، وسط مخاوفها الشديدة:

- **قلت في عقل بالي.. لو سجنت سأكون في أمان، في حمى الحكومة، حتى يقبض على القاتل، ويعدم، يا رب تقبضوا عليه، ويعدم في ميدان التحرير، على فكرة يا باشا أنا لم انزل الميدان خالص.**

شملها بعينيه، وقال:

- **أهدأي، أنتِ في أمان.**

سألت في لهفة:

- قبضتم على القاتل، ومَنْ المسكينة التي قتلها؟

أستقر صامتًا للحظة، ثم سألها:

- أنتِ قتلتِ زوج أمك، محروس الزناتي؟

أتسعت عينيها، وتحسست مصيبة مؤجلة لسنوات، تسقط الآن على رأسها، وهي تحدق في وجهه، وكأن عفاريت زرقاء خرجت من مكمنها، فتأهبت لطعنها، ولتقتل كل العفاريت، والأشباح التي لا تكف عن مطاردتها، تنهدت، واستعادت ملامحها صلابة حادة، وقالت:

- الله يرحمك يا أمي.

- هي اعترفت بانها قتلت محروس لحمايتك!

ألتفت نحو بسة، الذي يقف مثل قط فرعوني أسود، وقالت:

- يا باشا هذه قضية قديمة وأغلقت منذ زمن، ولا يفيد فتحها في شيء.

أومأ برأسه، وقال:

- وفتحت الآن.

أخرج نسخة من كتابي، وقال:

- وهنا اعتراف بلسانك.

وتناول أسطوانة "CD"، وقال:

- وبصوتك.

وقفت متحفزة، وتراجعت خطوتين نحو بسة، وصاحت:

- هو كمين! الموضوع كمين!

وواصلت الصراخ:

- لا أنا لم أقتل لا محروس ولا غيره.

- أنت قتلتي عفاف عصام.

أختنق صوتها من المفاجأة، وقالت:

- يا نهار أسود، عفاف هانم!

رفع الرائد حلمي صوته، وأشار له:

- خذها الحجز.

أتسعت عيناها، وقالت:

- عفاف لم تقتل، عفاف حية، أنا كنت معها منذ يومين.

قبض كفيه، ولوح بهما أمام وجهه، وقال للعسكري الذي يدفعها نحو الباب:

- أتركها.

وأشار لها:

- تعالِ.

سرى الدم في وجهها، ونبضت ملامحها بالحياة، وقفزت نحو الرائد، وقالت:

- أتصلت بي، وطلبت مني أ....

- ماذا طلبت؟

غالبت ترددها، وقالت:

- أسهر مع زبون، لأنها كانت مشغولة.
- وسهرتِ.
- نعم.

شملها بنظرة شك، وسألها:

- وقابلتِ مدام عفاف، شفتها بعينك؟
- نعم..

وأخرجت الموبايل ورفعته أمام وجهها ففتح، وقالت:

- نمرتها معي، سأتصل بها حالًا لتتأكد حضرتك.

أشار لها، فاستعادت الرقم، وضغطت على الشاشة، لحظة ووصل صوت عفاف:

- نانسي.. حبيبتي.

هو نفس الصوت الذي تردد ضحكته، وتوجعه، قالت نانسي:

- أنا في ورطة.

أشار لها الرائد بسبابته، فتغيرت لهجتها، وقالت:

- ضروري أقابلك.

همس لها:

- اليوم..
- لو ممكن نتقابل الليلة.
- قوي، تعال فيللا الشروق، مع السلامة.

الفصل الثامن والعشرون

اليوم الرابع، الخميس ٢٩أبريل ٢٠٢١م

أنه في يوم الخميس الموافق ٢٩ إبريل ٢٠٢١

بحضور كلا من ...

.....

الهانم

شهيرة أبو النور

أرادت أن تحبها ولكنها كرهتها من كل قلبها، فبادلتها عفاف كره بكره، وضعت أبنتها إلى حيث يليق بها، ألقت بها حيث بحر الغواية الكاسح، أرادت بؤرة تسقط فيه، جب عميق يبتلعها، وتتخلص من سيرتها وسيرة أبيها الملعونة، ولكنها جاءت، واتصلت بها بعد غيبة سنوات:

- **شهيرة هانم.**
- **عفاف، معقولة! حسبتك متِ يا بنت.**
- **حية يا شهيرة هانم!**
- **أمك، يا ناكرة خيري!**
- **هههه خيرك محفوظ، وسيرد لكِ في الأفراح.**
- .....

- .....

رفضت عفاف أن تكون ضحية، فليس من طبيعتها أن تستجلب الشفقة من أحد، أو ينظر لها على أنها فتاة ضعيفة، –وليةٍ– مكسورة الجناح، مغلوبة على أمرها، حتى من أمها الشرسة، بتاريخها السيء الذي مثل سلسلة حديدية، وقفت أمامها متحدية، واجهتها بدليل بيَّن.. بأن زواجها من قاتل أبيها، دليل على دورها في جريمة.

.....

صرخت في وجهها متوعده:

- لولا أنك أبنتي، لقتلتك!

قالت أنها كادت تخنقها، وسألتها متحدية:

- مَنْ أبي؟!

لم تشك لحظة بأن عصام شوكت أبوها، فهي تحمل ملامحه الجميلة، وبعد ما حدث له تمنت ألا يكون لها حظه البائس.

منذ اللحظة، كسرت كل السلاسل البغيضة التي تحولها لصيد سهل، أو خضوعها لأية شروط، لتمتلك نفسها، جسدها لا يشاركها فيه أحد، حتى وهي في لحظاتها الحميمية كانت هي الفاعلة لا المفعول بها، قال لها نجيب بعد لقاء جنسي عاصف.. أنتِ ملكة، تسكنك روحها، وجسدها أيضًا.

حاولت أن تطفئ رغبة الانتقام، والثأر لأبيها في منبتها، وهي تصعد بجسدها صعوده الشامخ، وتحلق بروحها التي لم تذق يومًا طعم الذل.

بعد مرور سنوات، جاء من ينكأ جرحها، ويسألها.. ما أخبار مامتك؟ حتمًا يعرفها بمجرد النظر لعينيه أيقنت ذلك، أنه يعرفها، رشقته بنظرة، وسألته:

- ما المناسبة؟!

رهفت عيناه، ولم يستطع إخفاء ما أيقن في قلبها منذ لحظة.. باباكِ عملت معه كام ديل "Deal"، شملته، عيناه تكذب، وهو يقول.. عصام لم يكن يستحق ما حدث له، وتألمت لوفاته في السجن كثيرًا.

سخرت من نفسها عندما فكرت لحظة في تجاوز جريمة أمها وشريكها الواصل، بل والدفاع عنها، تترفق بها، بامرأة من نسل معمر، جدتها لأمها عايدة السكاكيني تجاوزت المائة، وماتت في مصحة للعجزة، وخالتها نجوان تعيش كموميياء محنطة في حي الماكس في الإسكندرية، أمها "شهيرة أبو النور" في السبعين، ولا تزال تتحرك تخرج وتذهب إلى النادي، تلهو مع صديقاتها، فلتنس أنها شريكة في قتل زوجها –أباها الطيب– عصام شوكت، أول وأخر رجل أحبته، وشعرت معه بالأمان، استيقظت فكرتها في الثأر لأبيها، وقتل أمها، وشريكها الواصل، مهما كانت سماء السلطة الرابعة، أو الخامسة، التي يتربع عليها، فلن تتجرع مرارة التراجع عن قرارها.

وهي في الطريق إليها، تعلقت قرارها بإجابة ظلت في عالم الغيب، مَنْ هو محجوب عبد الدايم، ومَنْ الباشا الذي مدَّه حمايته؟! تصفحت موبايل أبيها واستقرت عيناها على صورته الباسمة، لم تنس ملامحه، التي تعود إلى سنوات طفولتها المبكرة.

بعد شهرين من الاتصال الأول، عاودت الاتصال بها:

- **أنا خارجة من المطار.**
- **.....**
- **واصلة حالًا.**
- **.....**

كانت شهيرة مع حيزبونات، يجلسن في كافية، وهي تخطو نحوها ألقت عليها نظرة وعلى ملامحها ابتسامه، ياه هـ هـ يا شهيرة! تتعلق بأذيال الحياة حتى الرمق الأخير، أطرفت برموشها الصناعية، وصبغة شعرها، ووجهها الناعم لتتحدى سُنّة الزمن، كان رغم التجاعيد المنتشرة لا يزال يحتفظ بروائه، مثل ورقة نبات خضراء، قبلتها وجلست، أشارت شهيرة لصديقاتها، فانصرفن نحو مائدة قريبة.

مرت لحظة شملت أبنتها بعينيها العسليتين وهدبيها المغسولين بكحل أسود، وقالت:

- **وراءك حاجة.**

غامت ابتسامة عفاف الماكرة، وقالت:

- أشوفك.

- ما الحكاية؟!

- وحشتيني يا ماما.

ضمت كف ابنتها ومسحت عليه في حنان، وقالت:

- تمنيت أن أحب ابنتي الوحيدة، ولكنها لم تعطني الفرصة، الآن أعطيكِ فرصة من جديد؛ سامحتك على اتهامك الباطل.

وتغيرت سحنة وجهها فجأة، واستدركت معاتبة:

- صدقت اتهامات أبيك الباطلة لي، على فكرة أنا لم أخنه، هو الذي خانني، مع أعز صديقاتي، وليس مرة واحدة، بل مرات.

غمغمت عفاف:

- هذه زمن راح لحالة. المهم طمئنيني على أحوالك.

- عائشة، ولكن ....

مالت بجذعها على المائدة، واسترسلت متوجعة:

- الوحدة مرة.

ضحكت عفاف مرغمة، وقالت:

- وحدة! لا أصدق أن شهيرة هانم تقبل الحياة بدون رجل.

صاحت الأم:

- أنتِ قليلة الأدب!

- في الحلال يا ماما.
- الله يرحمه.

أخرجت علبة سجائرها ورفعت بواحدة لأمها، فقالت:

- ربنا تاب عليَّ منها، عقبى لك.
- مات؟!
- منذ سنتين.

نفست دخان سيجارتها، وخامرتها فكرة طارئة.. كاذبة عن موت محجوب عبد الدايم، وقالت:

- حتى الآن لا أعرف اسمه.

أعترى الأم شك ما، فتساءلت متجاهلة:

- مَنْ؟
- زوجك الله يرحمه.
- نسيم باشا الحلوجي.
- آه.. هو حلوجي!
- نعم. هو "مفروض" اسمه نسيم باشا، وأبوه اسمه مازن سعد الحلوجي.
- والحلوجي، صحيح هو من دبر لأبي قضية وسجنه؟

صاحت الأم بصوت رفيع معترضة:

- مستحيل، نسيم بريء من اتهامك له..... واتهامك لي، ولم يكن له يدًا في قتل عصام في السجن كما زعمتِ، أبوك كان عصبي وأهوج، دمر

أعصابي، راهن في البورصة بدون دراسة، وفي أحداث يناير ٢٠١١، وقعت البورصة، أتبخرت فلوسه، وبقينا على الحديدة، لم يتحمل الصدمة.

كاذبة يا شهيرة هانم يا أبا النور! كاذبة.. ورائحة كذبك له رائحة صنان عفن.

قالت عفاف:

- **ماما، أبي مات في ٢٠١٣، في قضية ليس لها علاقة بالبورصة.**

انتفضت الأم، وقالت:

- **تتهميني بالكذب، أنت صحيح أبنة عاقة.**

واتسعت عينيها حتى تحولت لبئر عميق، وهي تقول:

- **أبوك كان يمول جماعة إرهابية.**
- **أهدأي يا ماما، العصبية غلط عليكِ، بابا مات بسره، الله يرحمه.**

واصلت حديثها الغاضب:

- **أنا أعرف كل حاجة عنه، وعنكِ.**

واتكأت على مقعدها، وواصلت:

- **هو صدع دماغي بقال الله وقال الرسول، وحقيقته كان زنديق.. فاسق، مثلك تمامًا.**
- **مثلي!**

احتوتها بين رموشها، وقالت وهي ترعش شفتيها المصبوغتين:

- أنتِ شهرتك مسمعة، أشهر من نار على علم، كل النوادي، والكافيهات، والأوتيلات؛ تعرف من هي مدام عفاف عصام شوكت.

غمغمت عفاف:

- الصيت ولا الغنى.

ثم سألتها:

- تعرفي من دلني عليكِ؟

- ولا أعرف.

- زوجي، نجيب عباس.

وأردفت قائلة:

- هو يعرفك، وأكيد أنتِ تعرفينه.

صدحت ضحكتها فأظهرت طقم أسنانها الذهبية، وقالت:

- عز المعرفة.

خيم الصمت للحظة مثل سحابة مباغتة، قالت عفاف:

- قال لي أنه كان مدير مكتب الحلوجي.

أومأت برأسها رافضة، وقالت:

- هذا الصعلوك كان سكرتيره الخاص، يحمل له حقيبته، وجازمته، أما مدير مكتبه كان بدرجة وكيل وزارة.

تفحصت غضونها الغائرة، الحقيقة المرة على.. قالتها زوجي "المفروض" اسمه نسيم باشا، هو زوج حقيقي، عاشرها معاشرة الأزواج، حتى بدون وثيقة

زواج، مسجلة في المحاكم الشرعية، باسم.. الزوج نسيم باشا مازن سعد الحلوجي، وسكرتير مكتبه نجيب عباس –لاعق الأحذية– قالها بنفسه، هو الزوج الحقيقي، أقر بأنه محجوب عبد الدايم، الديوث الحقير، ونسيم الحلوجي هو الزوج الفعلي، لم تنس هذه الحقيقة وهي تعيد صياغته، ليكون على قدر جمالها، وأنوثتها الفريدة، وكان عليها أن تحرق الكثير من كروته لتكتمل شروط لعبتها؛ وتسقطه في حصارها.

قالت لأمها:

- **وعصام عباس هو من وشى بأبي.**

تمتلك شهيرة أبو النور أعصابًا فولاذية، تشمل دائرة وجهها ابتسامة ساخرة، وتسأل أبنتها:

- **تحتاجين دليلًا لإدخال زوجك السجن؟!**

غمغمت كأنها تتهمها:

- **وأقتله في السجن، واخرج تقرير طبي يؤكد أن سبب الوفاة، ذبحة صدرية، أو هبوط في الدورة الدموية، أو انتحار ههه! أو أي اكلاشيه جاهز على تصريح الدفن بتوقيع، وختم أزرق.**

غمغمت الأم في غيظ:

- **لا فائدة فيكِ.**

واصلت عفاف وقد علت وتيرة صوتها:

- الدليل عندي، نجيب هو زوجك الحقيقي، ولأنه وسخ، تزوجني، وهو يعرف أنني أبنة مطلقته، وهو لا يصح شرعًا، ولا قانونًا.

شملتها بعينيها العسليتين، وقالت وقد أحتدت ملامحها:

- هو وسخ وابن كلب فعلًا!

وواصلت سخريتها:

- لكن من خلف لم يمت، كأني بسمع خطبة من أبيكِ، عن الشرع والقانون، والدين!

ثم وقفت وحملت حقيبتها، وانصرفت وهي تتحدث في الموبايل:

- نجيب قابلني.. في أي وقت أحتاجك ضروري، مع السلامة.

تابعتها عفاف حتى أستقلت سيارتها، وخرجت من النادي، وظلت على مقعدها لساعة، شربت علبة سجائر، وذهبت إلى البسين خلعت ثيابها وقفزت في الماء البارد، عندما أستقلت سيارتها وصلها رنين الموبايل، وجاء صوت نجيب غاضبًا:

- ساعتان أتصل بكِ يا عفاف، كنت فين؟!

- خير يا نجيب؟

- قابليني حالًا، فيه مصلحة حلوة. برنس عربي طلبك بالاسم.

- ماما طالبة تقابلك، نعم لا تقابلها إلا في وجودي.

- OK.

أغلقت الموبايل، وبصقت عليه.

الفصل التاسع والعشرون

البرنس

خالد العايش

توقفت سيارتها أمام قصره الفاره، تابعت الحراسة المشددة بأسلحتها حول المكان، وهي تهدئ من سرعتها، أنهت مع نجيب مكالمة الهاتف:

- وصلت العنوان، مع السلامة.

ثم استدركت محذرة:

- أؤكد عليك، ماما شهيرة لا تقابلها إلا في وجودي، سأرتب لقاعدة في شقة غيط النوبي.
- حاضر.

فُتِحت البوابة؛ اجتازت طرقة نحو الباب الزجاجي المضاد للرصاص، أستقبلها الأمير خالد العايش بقبلة ووجه مشرق، كان يرتدي روب شفاف على اللحم، خطا بها نحو بيسين من الفيروز الأزرق، وسطه فسقيه تنساب منها مياه ملونة، تأملت تفاصيل وجهه، حددت تضاريس ملامحه، وتحينت فرصة لبداية لعبتها معه، ومع نجيب، لكن بشروط جديدة، ستضعها تباعًا.

أشار لها فجلست قبالته على مقعد من الذهب الخالص، حام حول فريسته، وهو يشملها بنظرة، غرس عينيه في مفاتنها، فشعرت بنظراته كسلاسل بغيضة، حتمًا سيفشل في تكبيلها، ولو أصر ستحيلها إلى تراب،

وهو يتناول زجاجة نبيذ أحمر، ويصب كأسين، شرعت في خلع ملابسها، فأشار بيده لتنتظر، وقال:

- مدام عفاف، أنت أجمل من صورتك في الفيديو.
- فيديو؟!
- نجيب أرسله واتس لأعرفك، لكن فرق كبير بين الصورة، والحقيقة.

وقف وخلع روبه الموف، فظهر جسده الفتيَّ، وهو يرشقها بنظرة، تناول كفها، وقبض على خصرها الناعم، فابتسمت.

دار بها..

لو زاد تألقكِ أكثر، سأضعكِ حيث يليق بك، ملكة بحق..

كيف؟!

أشار بيده، فسطعت الأنوار تباعًا على عازفين تناثروا حول البيسين، ووراء أشجار الحديقة، وأسفل برجولا، حرك سبابته فبدأ عزف أوبرا دون جيوفاني، تناولها كفراشة، وبدآ الرقص.

دون جيوفاني يحب حد الجنون، لا يشفى من الحب، مثلي، وأنا لا أتوخى منك غير زهو جسدك، تصنعين منه سحري؛ تميمة لي.. أكسيري للشباب الذي لا ينتهي، كما توحي به نظرتك، تسحريني لأكون لحظة سرمدية معك، لا تموت، وأزل ليس له نهاية.

أنت!

غيرهم جميعًا، حتمًا ستعرج بي إلى كوكب بعيد، وسماء ليس لها حدود، لا أعود منها، أكون هناك، معك فريسة ضعيفة، طريدة هشة، واهنة، تخضع لشروطك، تمتلكها، تمتلك جسدي، وتأجره مفروش مثل نجيب عباس، يعتقد هذا الديوث –لأنه يمنحني لغيره باختياره– بأنني ملكه، لا يشاركه فيَّ أحد، يحتل جسدي، ويمنحه المتعة وحده، يا له من أحمق، أنت وأميرك الذي سأثبت له بأنه أحمق مثلك، أنا لست ملكًا لأحد، أنا ملك نفسي، ولا أمنح المتعة إلا بشروطي، أمنحها ليَّ أنا.

قال لها:

- نجيب عنده حق، أنتِ ملكة، بشرط.

دار بها، حتى بقعة ضوء انسابت، على ضجيج العزف، هام في ألوان طيفها، وأستدرك:

- ترمي كروت لعبتك على مائدتي.

لتحولني لصيد سهل، أخضع لشروطك، وتمتلكني!

سألته:

- ملكة، أم جارية؟!

نزع قميصها في رفق، ومسد على جسدها الناعم، وقال:

- الجارية أيضًا تحكم.

- لا يليق بملكي أن تحكمه جارية.

اتسعت ابتسامته، وهو ينزع حمالة صدرها، وغمغم:

- أنا مَلَكِك؟!

قَبَلها، وصوت الموسيقى يحملهما على سحابة الرغبة البيضاء، وهي تنزع ما تبقى، حذائها، وسروالها، و....، كانت تغني..

كم تمنيت لو للرقص تطلبني

وحيرتني ذراعي أين ألقيها

ارجع إلى فإن الأرض واقفة

كأنما فرت من ثوانيها"*"

.....

وحتى استوت بين ذراعيه ملكة عارية، مسد بشفتيه عنقها الحريري.. الناعم، فأشتعل صوت ضحكتها المضمخ باللذة، والمتعة، وهبت عليه عاصفة الانتقام، والثأر لأبيها، وجسدها الذي لم يذق طعم الذل، رغم غزواته الذي لم تع، ظل يصعد ويهبط....

توالى الصعود والهبوط، وهما فوق وسادة مطاطية تدور حول الفسقية، والماء الملون، وضعت أطباق مأكولات بحرية، ومزات، همست له:

- إذا طلبتني مرة أخرى، فليكن الاتفاق معي.

ناولها قطعها لحم ساخنة، وقال:

- هي مرة واحدة.

- تحت أمرك.

أستقر بالشوكة على قطعة جمبري، وهو يقطعها بسكين ذهبي، قال:

- أريدك في عمل، سينقلك إلى عالم أخر.

ندت ابتسامتها، وهتف يقينها.. أنت ديوث مثله، ولكن ديوث عن ديوث يفرق، وكلكم ملاعين وفي قرار الجحيم، لازت بالصمت، ورهفت بعينيها على وجهه مثل فراشة ملونة، كانت تجيد أبجديات العشق، وعناوين كل صفحات الغواية، والإثارة.

واصل حديثه:

- عالم له قانونه الخاص.

أعرفها!

تناول حساء السيفود، وهو يمسح شفتيه بمنديل، قال:

– أول مادة أن تكوني حرة..

– منذ زمن وأنا حرة.

– دور نجيب أنتهى معك منذ الليلة.

فتحت قرار عينيها الأسود..

ههه أكمل.. وأتزوَجِك؟!

- المادة الثانية، يكون لعملك واجهة واوو. شركة سياحة دولية؛ نسبة في شركة أوتلات عالمية، أو تشتغلين في الميديا... الفن.

ارتدت حمالة صدرها، وهي تنصت إليه، ثم سألته:

- نجيب ممكن يعترض، فهو يحبني بجنون، ولن يفرط فيَّ بسهولة.

انفجرت ضحكته، أخرجت كلماتها تلك لتضحكه، وتعاود البحث في حقائق ملامحه، فبضحك والبكاء هما وترقب فرصتها لبداية لعبة جديدة، حتى تهتدي إلى قواعدها....

قال وهو يتناول رشفة من كأسه:

- هو فرط فيكِ فعلًا، ومنحكِ لي على طبق من ذهب.

امتد غضب طارئ –تجيد إتقانه– على وجهها، وقالت:

- اتفقتما دون علمي؟!

- هو يعرف أصول هذا البزنس.

مست علي خده بإبهامها، وقالت:

- ومن الأصول أن يمسك عليك –وأنت ملك– كونترول ليبتزك به.

اشتعلت بشرة الأمير المصقلة، اللامعة كالذهب بلون أحمر، كانت قد ألقت كارتها الأول على المائدة، لتفرض شروطها تباعًا، دارت نظرتها وهو ينظر إلى كاميرات ذات تقنيات عالية، كانت تصور حفل أوبرا دون جيوفاني، وهو عار، وهي عارية، مارسا المتعة على اليابسة، وفي الماء، على انغام موسيقى مثل غابة خلابة، بين زهور حمراء، وصفراء، وبيضاء، وهي تغني على وقع الموسيقى..

أنا أحبــك يا سيفا أسال دمي

يا قصة لست أدري ما أسميها

أنا أحبك حاول أن تساعدني[٦]

قذف بكأسه في الماء فأحدث ضجيجًا، وقال متوعدًا:

- **كونترول! يبتزني أنا؟!**

قالت وهي ترتدي قميصها:

- **أخترق الكاميرات هنا ببرنامج إلكتروني، ليشاهد أوبرا دون جيوفاني، منذ البداية، وحتى الآن.**

وقف الأمير خالد العايش، وواجه الكاميرات، وصاح:

- **يا نجيب.....**

كان نجيب في فراشه يشاهد المشهد الأخير، الذي تأخر وصول بثه بضعة دقائق، وأخذته غفوة قبل أن يسمع تهديد الأمير المباشر له، بعد ساعتين والشمس ترسل أول أشعتها، رن تليفونه، وقالت له عفاف:

- **قابلني في الشقة.**

** **

---

[6] شعر نزار قباني.

الفصل الثلاثون

الرائد

حلمي الحسيني

وقفن أمامه، ينتظرنه، وهو يشير إلى ورقة في يده، ويكرر:

- .... نعم ورقة تافهة كانت كفيلة بحل اللغز.

واصلن تبادل النظرات في شك، ثم خيم الصمت على الرؤوس، خطا نحو عفاف، وأستقر بعينيه فوق وجهها المصقل بفحيح أنوثتها، وقال:

- جملة واحدة يا عفاف هانم، حلت اللغز.

تقعر وجهها وهي تنظر إلى حلمي ساخرة، وقالت:

- أكيد جملة سرها باتع.

أومأ برأسه، وقال:

- عندك حق.

وشرع في القراءة من الورقة:

- "واجهت أمي بأن زواجها من قاتل أبي، دليل على دورها في جريمة..

صرخت في وجهي متوعده:

- لولا أنك أبنتي، لقتلتك!

كدت أخنقها، وبالفعل فكرت في قتلها، وتشويه جسدها"

وأخترقها بنظرة اتهام، وقال:

- ونفذتِ فكرتك.. قتلت أمك "شهيرة أبو النور" وحرقتي جثتها.

في حين أزداد تقعر وجهها، وضعت ساقًا على ساق، صدرت عن بعضهن شهقات متنوعة، متتابعة.

قالت عفاف:

- كلام هبل، واستنتاج عبيط.

تبادلن نظرات الاستهجان، وعلت وتيرة غضبه، وقال وقد أرتفع صوته عاليًا:

- قفي، أنتِ متهمة بقتل وحرق جثة أمك؟

وقفت عفاف في هدوء، وقالت:

- اتهامك لا يعنيني، لأنني لم أقتل أمي.

ورفعت سبابتها منذرة، وقالت:

- وأحذرك من أتخاذ أي إجراء ضدي، لأن الرد سيكون مؤلمًا لك.

تراجع أمام التحدي، خوفًا من الكبار المختفين، يقينا كان البرنس "خالد العايش" يقبع في مكان ما، بالقرب منه، وسيظهر في اللحظة المناسبة.

أشار لهن، وقال:

- ممكن تتفضلوا أنتم، سأستجوب عفاف هانم على انفراد.

قالت محتدة:

- هم ربع ساعة.

وعاودت الجلوس.

كل منهن ودعتها بنظرة احتقار خفي، وفور خروجهن، جلس الرائد، وأستعاد هدوءه، وقال:

- **مدام عفاف، الجريمة معقده، والنيابة لن تنتظر أكثر من ذلك، ومحضر أقوالك سأذكر فيه ما كتبته الدكتورة علا الشرقاوي عنك، وعن كل أعضاء الشبكة، إلا إذا كان عندك تكذيبًا لم قالته علا.**

أخرجت سيجارة وأشعلتها، وهي تحتوي الرائد حلمي، يااااه.. شاب جميل، يصلح لأن يكون رجلًا من ذهب خالص.. ذهب حقيقي، ربما لو تقابلا في ظروف أخرى، كانت أحبته.. عشقته، وجعلته يحبها بجنون، بل وأعطته سلاسل حديدية ليقيدها، وتحولت له باختيارها لصيد سهل، وستخضع لكل شروطه، ليمتلكها، ولا يشاركه فيها أحد؛ حتى البرنس خالد العايش، سبحت مع سحابة دخانها، وهي تعدد فرص المادة الثانية من قانون القوادين المتحكمين، لتختر لعملها واجهة واوو. شركة سياحة دولية، أو نسبة في شركة أوتلات عالمية، أو تشتغل في الميديا... الفن، وحتمًا تتزوج من رجل من ذهب خالص.. حقيقي.

قالت:

- **حلمي بيه، القاتل لن تطله يد عدالتكم.**

لم يستسلم لضعفه، ولن يستنجد بهذه المرأة الخطيرة، سيتجنبها حتى لا تستدرجه بغوايتها إى مأزق لعين، قال أسفًا:

- **أرفع القضية للقيادة، ولهم التصرف، قبل تحويلها للنيابة.**

أشعلت سيجارة ثانية، ووضعتها بين شفتيها، سحبت منها نفسًا عميقًا، وقالت:

- **أنا عندي الحل.**

تأمل وجهها، لأول مرة يرى امرأة بهذا القدر من الذكاء، والقوة، والتحكم، وحتمًا لها علاقات بماخور عفن يحكم العالم، ورغم شكه الكبير، فقد تعلق بأمل واهٍ، بأي حجة، أو دليل ضعيف، سيتعلق بها لتخرجه من ضغط هذه القضية التي أجهدته، وليغلق ملفها.

قال لها:

- **قلي أقوالك في محضر رسمي.**

أشار لكاتب إلى جواره، وقال له

- **أنه في يوم....**
- **الساعة...**
- **فتح المحضر.. رقم ..... بمعرفتي أنا رائد حلمي توفيق الحسيني، وبحضور المتهمة عفاف عصام شوكت، وبسؤلها....**

.....

- **س: ما قولك في أنه في يوم..... وهو اليوم الذي وقعت فيه الجريمة، زرت الشقة رقم ٤٥ مسرح الجريمة، وأرسلتِ البواب المدعو. بدوي بدوي جعيدي لشراء زجاجة ويسكي، وعاد إليك بعد حوالي الساعة، أخذتها، وأغلقت الباب؟**

احتضنته بين جفنيها، تمنته لجسدها، هكذا فجأة أصابها فيرس العشق الجميل، حتمًا ستدس له تعويذتها السحرية، هل هي التي أحبته؟! أم الملكة التي تسكنها هي التي عشقته، وستجعله يحبها بجنون، لتمتلكه، لا يشاركه فيها أحد، سحبت شهيقًا عنيفًا مع سحابة دخان، وقالت له:

- **ج: حصل.**

أخرج الأسطوانة ووضعها على المكتب، أشار للكاتب، وقال:

- **أنتظر.. لا تكتب.**

وألتفت إليها، وقال:

- **ما حكاية هذه الـ CD الـ.....! لك مع الأمير خالد العايش؟**

ابتسمت وحركت لسانها بين فكيها، وقالت:

- **كل خيوط الجريمة في يدي، وسوف أحل لك لغزها؛ الذي حيرك.**

واضطجعت على مقعده

قال لها:

- **أنا أسمعك.**

** **

الفصل الواحد والثلاثون

العباسي

نجيب عباس

تلفتت شهيرة في المكان، جالت بعينيها في التراس الفسيح، وقالت له وهي تستريح على فوتيل:

- أقطع ذراعي، إن لم تكن هذه الشقة تديرها لقلة الأدب، يا قليل الأدب، هههه عادتك ولا تشتريها؟!

غمز بعينيه، وقال ضاحكًا:

- هههه وعايزنا نرجع زي زمان، قل للزمان أرجع يا زمان.

راقبتهما عفاف من المطبخ، وهي تعد العشاء الفاخر، وقالت:

- نجيب شاعر كبير يا ماما، لكن الزمن غدر به.

أحتوى شهيرة –حبه القديم– بعينيه، وقال:

- لم يبق من كل شعري إلا قصيدة يتيمة؛ أحفظها حتى الآن عن ظهر قلب.

حبيبتي..

كعادتي، وفجأة وجدتني أحبك.

وجدتني بكل مهجتي أمارس الهوى.

ومعنى أن أكون بين راحتيك..

كنسمة الربيع.

كزهرة في الروض تزدهر طوال عمرها

وترفض الرحيل.

حبيبتي..

.....

حملت عفاف الأطباق إلى السفرة وقالت:

- **يقول انه يموت فيَّ عشقًا، لكن لم يكتب فيَّ بيت شعر واحد.**

قال وهو يخطو نحوها، ليتناول منها طبقين:

- **قالوا قديمًا أجمل الشعر أكذبه، وأنتِ أذكى من أن أكذب عليكِ.**
- **نفسك كله كذب، لكن أجمل الشعر أصدقه.**

واصلت حديثها وهي ترس الأطباق:

- **أكيد حبك الأول كان بدايته شعر.**

سرح بخياله، واكتست ملامحه بوسامة شجن طارئ، تناول الموبايل، وضغط على الشاشة، وهو يغني بصوت حالم..

من بريق الوجد في عينيك أشعلت حنيني

وجّد..

في عينيها عذوبة، وفي نظرتها براءة مرهفة، وفي وجهها رقة حالمة، رأيتها في الهرم، في حديقة الورد، طويلة مثل حتشبسوت، سمراء كأميرة خرجت من أسطورة فرعونية قديمة، لم تكن حديقة الورد مكاننا الأول، يقينًا كان بيننا لقاءات كثيرة، في أزمنة سحيقة، وأماكن بعيدة، أحببتها كما ينبغي لشاب رومانسي أن يحب، ويهيم بحبيبته، ويكتب فيها أجمل شعر، يعزف على أوتارها.

وجّد.. حواء سنواته الضائعة.

حبيبتي..

وجدتني أبوح في انبهار.

إنني يا حجرتي أحبها.

يا مكتبي يا نوتة الأوراق، يا قلمي..

أحبها.....

.....

وجّد، لم تكن مجرد حبيبة، أو ملهمة، كانت حياة، أخذها إلى عالمه تجولت بين بيوت شعره المبللة بماء الورد، وغنى لها كل أغنيات العشق، كانت تزهو بعينيها ببريق، عندما تبتسم ينساب شِعرهُ كنهر عذب.

تسأله:

- **مَنْ تكون؟**

همس بصوت ساحر:

- من اجل عينيها عشقتُ الهوى.

صاحت شهيرة:

- سألتك مِنْ هذه؟!

ليسألني العالم عنكِ، فلا أجيب.

استدركت ساخرة:

- تكون حبيت أم كلثوم؟

ثم مالت على ابنتها، وقالت:

- زوجكِ يا عفاف جُن!

أستراح على مقعده، وحرك يده برفق مع صوت أم كلثوم..

يا فاتناً لولاهُ ما هزني وجدٌ و لا طعم الهوى طاب.

.....

هذا فؤادي فامتلك أمرهُ.

.....

أهتز طربًا مع الموسيقى، وصوت أم كلثوم، ولمعت عيناه بدموع قديمة غائرة، أشفقت عليه عفاف، فكرت في البكاء بدلًا منه، لتبكِ ملء بحر عينيها على كل شيء كان يحق له أن يكون جميلًا في حياتها، ولكن تم مسخه، وقهره، وهي تتأمل قوام فارسها، وترنو إلى وجه عاشق نبيل، تهاوت صورته التي شكلتها على عينيَّها، ليكون رهن لعبتها، خاضعًا لقواعدها، وشروطها التي

تضمن هزيمته، وقهرة، الآن تراه فارسًا هزم في أخر معاركه، ولكنه أكثر جمالًا، بسنواته الستين، تلاشت تجاعيد الوجه، وهتف شيء في أعماقها.. لماذا سقط هذا الشاعر الجميل إلى الحضيض، هل حوله حب مستحيل إلى رجل قذر؟!

ربتت على يده، وسألته:

- **لماذا لم تنشر ديوان أو ديوانين ليكون لك تاريخًا بعد رحيلك؟**

تلاشت لمعة عينيه، وقال وهو يضم طبق حساء بين أصابعه:

- **اعتقلني عبد الناصر، وأفرج عني مبارك، في المعتقل كفرت بكل شيء، أحرقت كتبي، ودواوين أشعاري، كانت مأساة المعتقل بداية كل شيء سيء في حياتي، أُنتهكت رجولتي، و....**

ألتفت إلى شهيرة، واسترسل:

- **حتى رأيتك في النادي.**

رفعت شهيرة الشوكة، وقالت:

- **أرجوك يا نجيب.**

ولكنه واصل:

- **رغم فارق السن بيننًا، كنت أصغرك بعشر سنوات.**

ارتجفت شفتيها المصبوغتين، وقالت:

- **دع هذه السيرة يا نجيب.**

قالت عفاف:

- **ما المانع، أنا رتبت لهذا الـ Meeting لنتحدث عن قصة الحب العظيمة بين نجيب عباس، وشهيرة أبو النور.**

صاحت شهيرة غاضبة:

- **عفاف! هذا زمن تولى.**

قالت عفاف:

- **نعم ولى، ولكن حدثت فيه جريمة لا تسقط بالتقادم.**

تبادلت شهيرة ونجيب نظرة سريعة، امتدت كمطرقة عنيفة، وواصلت عفاف مس الجرح القديم، لتفتحه من جديد:

- **تزوجت أمي، وطلقتها لتتزوجني.**

أطاحت شهيرة بالطبق من أمامها، وغمغمت:

- **أعصابي لن تحتمل هذه التخاريف.**

قال نجيب:

- **نعم أنا كنت زوج أمك الرسمي، لكن لم أعاشرها معاشرة الأزواج، وزواجي منك صحيح أمام ربنا.**

آه... ربنا! كنت نسيت هذه الفكرة! أنك تعرف ربنا.

وصاحت:

- **لم تكن زوجًا لأمي، ولا زوجًا لي؛ أنت مجرد ديوث حقير!**

شملها بنظرة ساخرة، وهو يلوح بيدها في وجهه:

- **وأنتِ مجرد عاهرة، ومن بيته من زجاج....**

صرخت:

- لا يهمني أن ينهار البيت على رأسي، ورأسك، ورأس أمي! ولن أحاسبك إلا على جريمة قتل أبي، أنت والحقير الكبير الباشا الحلوجي.

قال مهددًا:

- أبوكِ عصام شوكت تجرأ على الكبار، ومن يتجرأ يعاقب.

فجأة فتح الباب وأندفع عدد من الملثمين، صرخت شهيرة وتراجعت نحو البلكون، وشمل نجيب خوف ورعب هائلين، سحقته الصدمة، وفكرة مؤامرة دبرت بليل للقضاء عليه، لكنه رفع صوته متحديًا:

- مَنْ أنتم؟!

دخل البرنس خالد العايش، وقال:

- من يتجرأ على الكبار يعاقب؛ تخترق قصري، وتصورني وأنا مع زوجتك يازبالة!
- لا لم يحدث، هي من صورتك، عفاف دبرت كل شيء للإيقاع بيَّ، وإفساد العمل بيننا.

جلس العايش على فوتيل، مسترخيًا، وترقع أسابعه لرجاله، وفي لمح البصر انقضوا على نجيب عباس، تلقفه أحدهم ولف حول عنقه سلكًا حاد، وظل قابضًا عليه، رغم المقاومة العنيفة، كان يركل المقاعد والمائدة، تطايرت الأطباق، وتناثر الطعام، وهو يقاوم الموت في استماتة، ولكن...

.....

سالت دموع عفاف، وقالت للرائد حلمي:

- **لم أتحمل مشهد القتل، خرجت مع أمي، ودعتها وذهبت إلى بيتي، وأنا منهارة تماما، سكن عقلي وقلبي رعب قاتل، دفنت رأسي في السرير، وبكيت لساعات، شعرت بأنني حيوانة، مجرمة.. قاتلة، كان يتردد صوته المختنق، وهو يلفظ أخر أنفاسه، وصوت أم كلثوم يصدح عاليًا.**

استشف الوجد في صوتك آهاتٍ دفينة

يتوارى بين أنفاسك كي لا استبين.

سألها حلمي:

- **وبسة البواب؛ ألم يلاحظ شيئًا؟**

جففت دموعها، وقالت:

- **يوم الحادث، أعطيته علبة عصير فيها منوم.**

رشقته بذات النظرة الحادة، ها هي واجهة الكبار المجهولين، يشهرونها في وجهه للتهديد، والوعيد، أخيرًا استقرت جميع المسارات في رأسه، لمعت في عقلة بقعة حمراء كشهب، وقرر بأن يفتح التحقيق.

- **س:.....**
- **ج:.....**

.....

أنتهى التحقيق، وهو يستعد لتحويله إلى النيابة، خرج معي إلى الشارع، وقال لي:

- **حدث لنجيب عباس ما تمنيته، انتقام أبشع من القتل.**

أتسعت عيني، فأومأ برأسه، وقدم لي فلاشة حمراء، وقال:

- **عفاف كانت تحتفظ بفيديو اغتصابك، ولم أشر له في التحقيق، إلا إذا قدمت بلاغ رسمي.**
- .....
- .....

** **

عوني صادق

تمت بحمد الله

الثلاثاء ٢٠ إبريل ٢٠٢١م

١٠ رمضان ١٤٤٢هـ

نبذة عن المؤلِّف

عوني صادق

الدولة: مصر

روائي وسيناريست

الأعمال السابقة:

– الجولة الاخيرة في مربع الظلمة _ نادي ادب قويسنا

– رواية. ثقب أبيض صغير. دلتا للطباعة والنشر

– رواية وكأنه.. قد حدث. دار البشير للثقافة والعلوم

– رواية توأمي وروابة همس السنين عن دار يسطرون للطباعة والنشر

_ رواية مفستوفيلس_ دار قصص وحكايات للنشر الإلكتروني

_ الفرس الأعظم _ دار قصص وحكايات للنشر الإلكتروني